روائع المسرح العالمى

٤٧

الزفاف الدامى

تأليف فدريكو جرثيا لوركا

ترجمة وتقديم الدكتور حسين مؤنس

مراجعة الدكتور محمود على مكى

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

روائع المسرح العالمى

٤٧

الزّفاف الدامى

تأليف فدريكو جرثيا لوركا

ترجمة وتقديم الدكتور حسين مؤنس

مراجعة الدكتور محمود على مكى

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

هذه ترجمة من الأسبانية لمسرحية :

Federico Garcia Lorca, Bodas de Sangre. Buenos Aires, 1958.

مقدمة

الكلام عن فديريكو جارثيا لوركا كثير ، لأنه واحد من أولئك الكتاب والشعراء الذين نهجوا فى كل شىء كتبوه نهجاً خاصاً بهم ، نابعاً من طبعهم وحده ، معبراً عن مزاج لا يشركهم فيه غيرهم . ومن هنا فلابد من تقديم وتعريف وتعليق ، حتى يستسيغ القارىء ما يقرأ من كلامه ، ويقترب قدر الامكان من المرامى التى قصد اليها والصور التى أراد رسمها فى شعره ومسرحياته .

والشعر — أو المعنى الشعرى — المترجم من لغة الى لغة يحتاج بطبعه الى تقديم وشرح ، لأن الشعر اذا نقل من لغة الى لغة فقد معظم جماله وخصائصه الشعرية ، ولا تجدى فى ذلك ترجمته شعراً ، بل ربما كان هذا أضر بالشعر المترجم من نقله نثراً ، لأننا فى هذه الحالة نقحم شاعراً على شاعر ، ونعرض المعانى لانحراف ثان الى جانب الانحراف الذى لا مفر منه مع الترجمة .

ولوركا — بصورة خاصة — شاعر لا يتيسر الوقوف على

مراميه الا فى مشقة ، لأن معانيه وصــوره الشعرية أشــبه بنباتات برية تطفر وحشيةً من الأرض ، لا ضابط لها من منطق معروف أو نظام مألوف ، فهى بنات فكر جياش بكل شاردة آبدة ، تتدفق المعانى مع فيض الطبع الغــزير فلا يلاحظها القارىء الا فى عناء ، كأنه يتأمل تياراً مندفعاً يسيل فى أرض كلها صخور وشعاب .

وليست صعوبة فهم لوركا بقاصرة على من يقرءونه مترجماً الى لغة أخرى ، فان قراءه من أهل لغته ذاتها يختلفون فى معانيه ومراميه ، لأنه لم يكن مجرد شاعر جديد أو مجدد بالنسبة لمن عاصره أو سبقه من شعراء اللغة الاسبانية ، بل كان شيئاً فذاً فريداً فى بابه ، يصوغ ما يخطر له من المعانى فى القوالب التى يصبها فيها مزاجه الشاعرى . فقد يصوغها فى الأوزان التقليدية ، وقد يرسلها فى أوزان الشعر الشعبى أو أغنيــات المهود أو الأزجال أو الرباعيات أو أناشيد عيد الميلاد ، أو أى قالب شعرى آخر ، ويصور المعانى كما تسنح له ، فهى حيناً رقيقة الرقة كلها ، وحيناً آخر جامدة جافية كالصخور ، وهى فى كل حين غريبة فريدة فى بابها تنم عنه من بعيد . وهل هناك شاعر غير لوركا يقول الأبيات التالية فى قصيدته الفــريدة « شاعر فى نيويورك » :

انني أفضح كل الناس
الذين يتجاهلون النصف الآخر
النصف الذى لا يمكن انقاذه
والذى يبنى جبالا من الأسمنت
حيث تخفق قلوب
هذه الحيوانات الصغيرة المنسية
وحيث سنسقط جميعا
فى اليوم الأخير لآلات الحفر .
انني أبصق فى وجوهكم
والنصف الآخر يسمعنى
وهو يلتهم ويتبول ويطير .. فى طهارته !

والنصف الآخر المشار اليه هنا هم الزنوج والفقراء والمنبوذون فى العالم الأمريكى الذى عرفه لوركا أثناء اقامته القصيرة فى الولايات المتحدة ، وقد عبر فى هذه السطور القليلة عن غضبه على الذين كانوا يضطهدونهم ويعاملونهم بازدراء ، ويعهدون اليهم بأشق الأعمال كبناء عمائر ضخمة كالجبال من الأسمنت ، ولهذا فهو يحرص على أن يقول انه يبصق فى وجوه الظالمين فى حين يسمع المظلومون صوته وهم

يلتهمون ظالميهم ويعبرون عن احتقارهم لهم على النحو الذى صوره فى البيت الأخير .

ولو عبر شاعر آخر عن غضبه وسخطه بهذه الصورة الجافية لوقعت من نفس القارىء موقعاً سيئاً ، ولكانت موضع انكار من النقاد ، ولكنها طبيعية من لوركا كما خلقه الله وكما عرفه قراؤه ونقاده ، وربما كانت تلك هى ميزته التى تفرد بها ، وهو الوحيد بين الشعراء الذى جعل من معان وصور كهذه شعراً يقرؤه الناس ويستسيغونه .

هذا تنبيه لابد منه ونحن نقدم هذه الترجمة العربية للزفاف الدامى ، فهذه المسرحية تكاد أن تكون ملحمة شعرية : قرابة النصف من كلامها شعر ، ما بين أغان شعبية ورباعيات تجرى مجرى الأمثال وصور فولكلورية ومقطعات مبتكرة من شعره . وفى هذا الشعر كله تتوالى المعانى الغريبة والصور غير المألوفة ، والكثير منها يقع من القارىء موقع الغرابة والانكار ، وقد يحسب أن مرد ذلك الى الصورة العربية التى صغته فيها ، ولكن الذين يقرءون هذه القطعة فى أصلها الاسبانى يعرفون أن هذه الغرابة أصيلة فيه .

* * *

وقد استأنست فى الترجمة بترجمتين : انجليزية وفرنسية ،

وشهدت الترجمة الألمانية على المسرح ، واجتهدت فى أن أخفف من وقع الكلمات وفى ايضاح المعانى والرموز ، فلم أصل الى أكثر مما يرى القارىء هنا ، لأننى حرصت أولا على أن أنقل للقارىء كلام الشاعر كما هو ، بمعانيه ووقعه ونظامه .

وقبل أن أقدم المسرحية الى القارىء أعرض حياة لوركا عرضاً سريعاً ، فان الحياة القصيرة العاصفة التى كتبت لهذا الرجل هى أصدق تفسير لطبيعته كشاعر ولمزاجه كانسان .

ولد فديريكو جارثيا لوركا فى قرية فوينتى باكيروس فى مديرية غرناطة باسبانيا فى الخامس من يونيو ١٨٩٩ . وكان أبوه فديريكو جارثيا رودريجث مزارعاً ميسور الحال واسع النشاط ، وأمه فيثنتا لوركا مدرسة واسعة الثقافة بعيدة الذكاء مرهفة الاحساس ، ولوركا يرد اليها الفضل فى توجيهه نحــو الموسيقى والشعر ، وكان أبواه على وفاق تام وطموح بعيد ، وكان لهذا أثره فى تربية أولادهما ، وخاصة فديريكو .

نشأ فديريكو جارثيا لوركا عليلا بعض الشىء ، فلم يفصح لسانه بالكلام الا بعد أن بلغ السنة الثالثة من عمره ، ولم يمش الا فى الرابعة ، ولم تستقم مشيته طول حياته ، وظل اذا مشى عرج عرجاً خفيفاً .

ولكن طبع الشعر ظهر عنده وهو بعد طفل صغير ، فكان

إذا سمع أغنية شعبية مرة حفظها ورددها ، وفى سن السابعة كانت لعبته المفضلة عمل مسارح صغيرة . وكان يتصور نفسه يقود جماعة المنشدين فى الصلوات الكنسية ، وكان أبواه يتسليان بحفزه على تقليد القس فى القاء موعظته ، فكان يقلده فى حماس وانفعال ، ويصر على أن يتأثر سامعوه ويظهروا تأثرهم بالبكاء !

واهتم أبواه بحفزه على القراءة الواسعة وهو بعد صبى ، فقرأ معظم شعر ڤيكتور هيجو ، وكان يحفظ الدون كيخوته لكثرة ما قرأها . وأتم دراسته الابتدائية والثانوية على يد الرهبان فى الكوليخيو دِل سجرادو كوراثون دِخِسوس (مدرسة قلب يسوع المقدس) فى غرناطة ، ثم دخل جامعتها ليدرس القانون ، ولكنه أنفق معظم وقته فى مطالعات أدبية واتصالات بالظاهرين من رجال الأدب ، ولهذا غادر جامعة غرناطة الى جامعة مدريد ، وهناك قضى بضع سنوات دون تقدم ملحوظ فى دراسته ، ثم عاد الى غرناطة حيث حصل على اجازة الحقوق ، ولكنه خرج من دراسة القانون شاعراً لا قانونياً ، فلم يتأثر أحد من أبناء غرناطة على أيامه بجوها الشاعرى وتراثها الحضارى كما تأثر هو قبل أن يبلغ العشرين من عمره .

وكانت غرناطة أوائل القرن الحالى ما زالت تحتفظ بجوها الشاعرى العربى الملهِم ، تتردد فى جوها ذكريات ماضيها العربى بكل ما حفل به هذا الماضى من عناصر الشعر وأصداء المآسى . وكانت جماعات الغجر — التى تحولت اليوم الى نماذج سياحية متكلّفة — أضعاف ما هى عليه اليوم من عدد وأهمية . كانت تلال البيّاسين ومونتشاقرْ والحمراء عامرة بهم ، تتردد أغانيهم وأقاصيصهم فى الأسماع ليل نهار ، وتروع الناس مآسى حياتهم وما تمتاز به من عنف وقسوة وعواطف برية جامحة ، وكان لهذا كله فى نفس الشاعر الشاب أثر بعيد عميق .

وقد كان العصر كله فى بلاد أوروبا جميعاً عصر ولع بالمأثورات الشعبية واتجاه الى اتخاذها مادة للشعر والقصص والموسيقى ، ولكن فديريكو لم يكن مجرد سائر فى اتجاه العصر أو مقلد لشعرائه وفنانيه وكتابه ، وانما هو اندرج فى الغمار اندراجاً تاماً ، كأنما خلق بطبعه غجرياً أو شاعراً جوالا ينشد الشعر الشعبى بأصالة وصدق يدهش لهما سامعه وقارئه .

وكانت مطالع هذا القرن فى اسبانيا كلها عصر نهضة أدبية فنية كبرى ، وكان الاتجاه الغالب على أعلام الفن والفكر فى العصر هو اتجاه التخلص من الماضى وادخال اسبانيا فى أوروبا

ومجاراة أدباء فرنسا بالذات فيما ينشئون ويكتبون ، وتلك هى الرسـالة التى تصدت لها الجماعة التى تعرف فى تاريخ اسبانيا الفكرى بجيل سنة ٩٨ .

ولكن لوركا لم يجر فى هذا التيار ، بل ارتد الى الوراء والتمس وحيه ومادة الهامه من الطبع الاسبانى الأصـيل ، فبينما كان مارثيلينو منندذ پلايو يصـدر المجلد تلو المجلد ليثبت أن اسبانيا لم تكن قط عربية ولا اسلامية ، وبينما كان رامون دِل ڤاىّ انكلان يكتب شعراً ومسرحيات يقلد فيها موپاسان وپول ڤاليرى ومارسيل پروست ، وبينما كان أورتيجا اى جاسيت يستلهم فلاسفة الألمان فيما يكتب من كتب ويحرر من مقالات لمجلته الذائعة الصيت « ريڤيستا دِ أوكثيدنتِ » لكى يؤكد لنفسه ولقرائه القرابة الوثيقة بين الاسبان والآريين الشماليين ، كان فديريكو جارثيا لوركا يرتد الى الثروة الفنية الشعبية الأندلسية يستلهمها ويبعث فيها الحياة وينشىء منها فناً جديداً .

وهو لم يطلب هذه المادة الشعبية باحثاً عن مادة لفنـه فحسب ، بل باحثاً عن نفسه ذاتها ، أو باحثاً عن الروح الاسبانى الصافى . وقد طلب ذلك مخلصاً كما يطلب الكائن الحى الهواء الذى لا يعيش بدونه ، ومن هنا فقد كان من الطبيعى أن يبلغ

فى انتاجه الى أبعد مما بلغه أحد من معاصريه من أدباء اسبانيا .

ولوركا واحد من أولئك الموهوبين الذين نضجت ملكاتهم قبل الأوان ، وطفروا سريعاً وأتموا عملهم وهم بعد فى عنفوان الشباب ، وغادروا الدنيا مسرعين كما دخلوها ، كأنهم شهب لمعت وأضاءت واحترقت ومضت الى حال سبيلها . ففيما بين الخامسة عشرة والعشرين كان يقرأ ويكتب فى حماس ونهم ، وكان يجيد العزف على القيثارة والبيانو معاً ، بل بلغ من اجادته العزف على البيانو أن رجلا من الظاهرين فى عالم الفن اذ ذاك وهو فرناندو دِ لوس ريوس رئيس المركز الفنى فى غرناطة سمعه يعزف سوناتة لبتهوڤن فدهش لبراعته وتولى رعايته من ذلك الحين . ومع أن لوركا لم يواصل السير فى طريق الموسيقى كما رجا دِ لوس ريوس ، الا أن هذا الأخير ظل يوجهه ويواليه بالنصح والرعاية طول حياته .

من غرناطة انتقل فديريكو جارثيا لوركا الى مدريد ، ودخل غمار الحركة الفكرية التى تدافع عبابها فى العشرينات من هذا القرن واتصل بالظاهرين من رجال الفكر ، وبدأ طريقه فى الانتاج الأدبى بقصائد قصيرة كان ينشرها بين الحين والحين . وقد استلفتت قصائده هذه انتباه كبار الشعراء والكتاب رغم قلتها ، وتنبه رجال مثل أثورين وخوان رامون خيمينيث

والأخوين الشاعرين أنطونيو ومانويل ماتشادو وميجيل أونامونو الى الملكة الشاعرية الفريدة التى امتاز بها هذا الشاب . واشتهر اذ ذاك فى الأوساط الأدبية بالقاء أشعاره بنفسه ، كان يلقيها فى حماس وانفعال ، وشيئاً فشيئاً أصبح الناس يعتبرونه أكبر الموهوبين من ناشئة الشعراء .

وشرع فى نفس الوقت يكتب للمسرح ، وفى سنة ١٩٢٠ أخرجت أولى مسرحياته المسماة « سحر الفراشة » فى برشلونة دون توفيق كبير ، ونشر أول دواوين شعره « كتاب أشعار » فلقى من الاقبال أكثر مما لقيت المسرحية بكثير . وبعد ذلك بثلاث سنوات كتب مسرحية صغيرة لمسرح الدمى عنوانها « الطفلة التى تسقى الزهر والأمير الكثير السؤال »، ووضع لوركا بنفسه تصميم المناظر ، واختار لمصاحبة حركات الدمى قطعاً من موسيقى ديبوسى وراقل وألبينيث وپدرل وقام بتنسيقها مانويل دى ڤايّا ، وصاحب بنفسه التمثيل على البيانو .

وفى هذه الفترة من عمره بدأ يرسم لوحات غريبة التكوين تشبه ما بدأ به وسار عليه صديقه سلڤادور دالى ، وقد ربطت الاثنين أحدهما الى الآخر صداقة متينة . وفى سنة ١٩٢٧ أقام معرضاً للوحاته فى برشلونة ، وقد طبع الكثير من هذه اللوحات

مع مجموعة كتاباته كلها التى أشرف عليها صديقه الشاعر خُورْخِ جِيِّنْ ، وهى تبدو للرائى بألوانها الباهتة وهيئاتها الغريبة وكأنها تصوير بالألوان لما خط بالقلم من شعر ونثر .

ولا يمكن القول بأن لوركا كان شاعراً ناثراً مصوراً وموسيقياً ، ولكن الذى يمكن قوله هو أنه كان فناناً مطبوعاً يرى الحياة ويحس بها باحساس الفنان وخياله ، وهذه كلها كانت أساليب للتعبير عن أحاسيسه وتخيلاته .

وفى ذلك الحين — سنة ١٩٢٧ — ظهر له شعر كثير يستوقف النظر ، منه قطعته المسماة « قصيدة الغناء العميق » پُويما دِل كانتِ خوندو) . والغناء العميق ، أو الكانتِ خوندو ، أحد نوعين رئيسيين من الغناء الأندلسى الأسبانى : الأول هو الفلامِنكو وهو الانشاد لجمهور كبير من السامعين بصوت عال ونغم مفرح بمصاحبة الجيتار ا وهى القيثارة ؛ والغناء العميق وهو أشبه بالمناجاة : ينطوى المغنى على قيثارته ويبثها أشواقه ونجواه ، ومن هنا سمى بالغناء العميق ، أى الذى يصدر من أعماق النفس .

ولكن قصيدة لوركا ليست نجوى ولا بثاً للواعج الهوى ، انها تصوير لحياة الغجر حول غرناطة فى صور سريعة قصيرة كأنها ومضات ؛ مثال ذلك :

ميتاً ظلّ في عرض الطريق
وقد غاص فى صدره خنجر
دون أن يعرفه أحد
كم اضطرب نور مصباح الطريق !
يا أماه !
كم اضطرب نور المصباح الصغير
فى الطريق !
كان الوقت فجراً ، وما من أحد
استطاع أن ينظر فى عينيه
المفتوحتين فى الهواء القاسى
لأنه ظل طريحاً فى عرض الطريق
وقد غاص فى صدره خنجر
ولم يعرفه أحد !

وأمثال هذه الصور الحزينة ، مصوغة فى أبيات قصار ذات لفظ قوى وروىّ يشبه الدوى ، كانت لوناً جديداً من الشعر أو التصوير الشعرى لفت الأنظار الى صاحبها وأوسع له مكاناً فى عالم الأدب الاسبانى . وأى دارس لتاريخ هـذا الأدب لا يتردد فى تعرف لوركا عندما يقرأ :

الموت
داخل خارج
فى الحانة

جياد سود
ورجال بشعون
يمرون خلال حارات ضيقة
يتردد فيها نغم القيثارة

والجو تشيع فيه رائحة الملح
ورائحة دم أنثى
مختلطة بعبير الفل المرتعد
المقبل من البحر

الموت
يقبل ويمضى
الموت
يمضى ويقبل
خلال الحانة ..

ولم تلبث هذه المقطعات أن طارت على أفواه الناس من مكان لمكان ، فأصبح لوركا حوالى سنة ١٩٢٨ أوسع شعراء اسبانيا شهرة ، خاصة وقد برع فى المقطعات الصغيرة ذات المعانى البسيطة التى يألفها الناس ، مثل :

شجرة تفاحى
أصبحت الآن ذات ظل وطيور

ما أكثر ما تطفر بى الأحلام
من القمر الى الرياح

شجرة تفاحى
تخضر منها الأغصان

وقد بلغ لوركا بهذا الطـراز الشعرى قمته فى ملحمته المسماة « ديوان شعر الغجر » (ال رومانثيرو خيتانو) ، وهى قصيدة طويلة حافلة بغريب الصور والأخيلة ، يتردد فيها ذكر الموت والصراع والدم والثيران والمآسى ، وكل التشبيهات فيها غريبة تفجأ القارىء أول ما يقرؤها ، فأنهار غرناطة صغيرة محصورة « كأنها ثيران ميتة فى الغدران » و « حقول شجر الزيتون تنفتح وتنطوى كأنها مراوح » و « عويل القيثـارة يحطم كؤوس الفجر » ، وتترد فيها عبـارات مثل « خنجر فى القلب » و « كل شىء فى الدنيا تحطم » و « لم يبق هنـاك الا الصمت » وما الى هذه اللمحات الأخاذة التى تترك سامعها ذاهب النفس وراءها .

والى هذه الخصائص ترجع أهمية هذه القصيدة ، التى حددت مكان لوركا كشاعر موهوب ومبشر بطراز جديد من الشعر القوى الطيّار عاد بالفحولة الشعرية الاسبانية الى شأو

لوپ ِ د ِ ڤيجا وكالدرون د ِ لا باركا . نعم ان معانيه وصوره كانت تحير الناس وتذهب بأفكارهم كل مذهب ، ولكن هذا أيضاً كان تجديداً لطراز من الشعر الاسبانى ، طراز ملغز معقد يتمثل فيما كتب الشاعر القرطبى لويس د ِ جُنْجُرة المتوفى سنة ١٦٢٧ ، وجدير بالملاحظة أن لوركا كان معجباً به وله فى شعره دراسة معروفة .

عقب ذلك مباشرة رحل لوركا الى نيويورك ، والأقوال متعارضة فى دوافع هذه الرحلة المفاجئة التى قام بها الشاعر وهو على عتبات مجده ، فمن قائل ان أباه أراد له أن يستزيد من العلم ، ومن قائل انه سئم ما شاع عنه من أنه « شاعر الغجر » وأراد أن يطرق أبواباً جديدة ، ومن قائل ان منافسات شديدة أخرجته وحفزته على الفرار بنفسه من جو الأحقاد ، ولكن يبدو أن ما حبب اليه الرحلة هو عزم صديقه فرناندو د ِلوس ر ِيئوس على الهجرة الى أمريكا زمناً ، فرحل الاثنان فى صيف ١٩٢٩ ، والتحق لوركا بجامعة كولومبيا ونزل فى احدى دور الطلاب بها .

لم يتأثر لوركا كثيراً بالحياة فى العاصمة الأمريكية الكبيرة : لم يتقن اللغة الانجليزية ولا واظب على الدروس ولا اتصل بأوساط الفن والأدب . ظل هناك حائراً تائهاً كأنه كان يبحث

عن مجهول . كان يقضى ساعات طويلة من النهار والليل فى حى هارْلِمْ كأنما افتتن بولع السود بالموسيقى ووقع أنغام رقصهم التى لا تسكت طوال الليل ، ولا شك أنه وجد فى حياة أولئك السود ما ذكّره بحياة الغجر التى أولع بها فى بلده .

وكان أصحابه هناك من الاسبان أو الاسبان الأمريكيين ، والى هذه الفترة ترجع صداقته لمصارع الثيران اجناثيو ساتشِذ مِخِيَاس الذى رثاه بعد ذلك بقصيدة مشهورة ترجمها الى العربية صديقنا الدكتور عبد الرحمن بدوى (مجلة المجلة ، عدد ٦٤ ، مايو ١٩٦٢) ، وعرف كذلك الناشر الاسبانى آتخِل فلورِس الذى هاجر الى نيويورك واتخذها وطناً . وقد أحس لوركا هناك بوحدة ووحشة شديدتين ، ونفر من الحياة الأمريكية نفوراً صوره فى قصائد جمعها وسماها بعد ذلك : « شاعر فى نيويورك » .

ومن نيويورك انتقل لوركا الى كوبا لالقاء محاضرات فى هابانا بدعوة من « المعهد الاسبانى الكوبى للثقافة » فلم تطل اقامته هناك ولا كانت له تجربة تذكر ، خلا ما يقال من تأثره بما رأى هناك من الفقر والتعاسة ودهشته عندما وجد السود فى كوبا يتحدثون عن أنفسهم بقولهم : « نحن اللاتين ! » .

وقد كتب فى كوبا مسرحيتين صغيرتين تعدان من ضعيف أعماله : الأولى « هكذا تمر خمس سنوات » ، والثانية « الجمهور » والمراد جمهور المسرح .

وفى صيف ١٩٣٠ عاد الى اسبانيا وقد زايله الفراغ والاحساس بالضيق اللذين ثقلا عليه قبل الرحلة . عاد متجدد الهمة والنشاط ورأسه عامر بالأفكار . من ذلك التاريخ الى وفاته كرس نفسه للكتابة للمسرح ، وكان أول ما كتب المسرحية الخفيفة اللطيفة المسماة « الاسكافية العجيبة » وقد مثلت فى نفس العام فى مدريد .

وكانت تلك السنوات سنوات تطور عميق شامل فى أحوال اسبانيا السياسية : انتهت الوصاية التى فرضها عليها پريمو دى ريڤيرا سنوات طويلة ، وانفجر الغضب الحبيس فى نفوس الاسبان بقوة أذهلت جاراتها من بلاد أوربا وأنذرت بسوء العاقبة ، لأن الانتقال من الضغط البالغ الى الحرية المطلقة دون تمهيد زعزع أركان المجتمع الاسبانى . فقد أعلنت الجمهورية سنة ١٩٣١ وأعلن دستور أطلق الحريات الى آماد لم يعرفها دستور آخر فى التاريخ . وقد أوجس المحافظون والحذرون خيفة من ذلك التطرف ، أما لوركا وأمثاله فقد رحبوا بالدستور الجديد أكبر ترحيب ، خاصة وقد أصبح فرناندو دِ لوس

ريوس وزيراً للتعليم ، وكان من أوائل قراراته بسط رعاية الدولة على مسرح البار"اكا وتعيين لوركا وصديقه ادواردو أوجارتى مديرين له .

كان البار"اكا مسرحاً متنقلا ، وكان لوركا حراً يصنع فيه ما يشاء ، فاعتمد على نفر من شباب الممثلين المجددين المتحمسين ، وأخرج مسرحيات لوپ دِ ڤيجا وكالديرون دِ لا باركا وثيرڤانتس وغيرهم فى صور جديدة جريئة ، ومضى مع هذه الفرقة يذرع اسبانيا طولا وعرضاً ، وتفتحت نفسه للتأليف فكتب وأخرج بعض قطعه الكبرى ، ومنها « الزفاف الدامى » و « الدونيا روزيتا العانس » ، و « الدونيا » لقب اسبانى معناه السيدة ، وهو مؤنث « الدون » ومعناه السيد .

كتب لوركا هذه المسرحيات بملء حريته كمؤلف وشاعر ومخرج ، وجعلها — من حيث الصياغة — فى القالب الاسبانى التقليدى القديم : مزاجاً من النثر والشعر والرقص والأغانى . أما من حيث القالب المسرحى فقد جمح به خياله واحساسه الفنى الى أقصى ما وصلت اليه روح العصر من أساليب الاخراج المسرحى .

وفى « الزفاف الدامى » بصورة خاصة بلغ تفنن لوركا مداه ، فالمناظر لوحات فنية يشترك اللون والضوء والرسم

المسرحى فى اعطائها قوة بالغة ، والحوار جمل قصار حافلة بالمعانى كأنها ايماءات ، والشعر قصائد طويلة حيناً ومقطعات قصار حيناً ، وأغنيات مهود حيناً ثالثاً ، وقد نجد فيه أغنيات أطفال أو أهازيج شعبية ، ولكن ذلك كله محمل بطاقة درامية لا نعرفها عند كاتب آخر ، ويشعر القارىء والمتفرج أن كل بيت فيها يشير الى المأساة التى تنطوى القصة عليها أو الى بعض تفاصيلها ، كما يلاحظ فى أغنية المهد الطويلة التى تشغل معظم المنظر الثانى من الفصل الأول .

وطار صيت لوركا كمصمم ومخرج مسرحى الى جانب شهرته كشاعر وكاتب ، وبلغ صيته الأرجنتين ، فاستدعوه ليعرض مسرحياته واخراجه الجديد لمسرحيات قديمة . ولقى هناك من النجاح مالم يلقه أى اسبانى آخر قبله أو بعده ، حتى لقد بلغ عدد من شهدوا اخراجه لمسرحية السيدة البلهاء (لاداما بوبا) فى حلبة مصارعة الثيران فى بوينوس أيرس ستين ألفاً فى حفلة واحدة .

وعاد لوركا الى اسبانيا يجر وراءه شهرة تفوق ما خرج به منها . عاد عامر الذهن بالأفكار الجديدة ، فكتب مسرحية « ييرما » أو مأساة امرأة عاقر وأخرجها سنة ١٩٣٥ ؛ وفى نفس العام أخرج مسرحية « الدونيا روزيتا العانس » اخراجاً

جديداً . وفى ذلك العام أيضاً أصدر مجموعة أشعار جديدة تحت عنوان «ديوان التّمَاريت» وأعيد نشر دواوينه ومؤلفاته السابقة فى اسبانيا وأمريكا اللاتينية . وفى العام التالى ظهرت مسرحية « بيت برناردا ألبا » التى ترجمها الى العربية الأخ الدكتور محمود على مكى ، ومثلت بنجاح علـى مسارح القاهرة ، وبدأ فى كتابة مسرحية جديدة عنوانها « خـراب سدوم » .

وفى يوليو من ذلك العام (١٩٣٦) بدأ الچنرال فرانثيسكو فرانكو ثورته العسكرية على حكومة الجمهورية التى كانت قد انحرفت نحو الشيوعية انحرافاً خطراً . بدأت هذه الحركة فى شمال المغرب ، وكان اذ ذاك منطقة حماية اسبانية ، ثم عبرت القوات الوطنية الى الأندلس لتبدأ الحرب التى عرفت بالحرب الأهلية الاسبانية ، وكان لوركا قد تلقى دعوة لزيارة كولومبيا فى أمريكا الجنوبية والمكسيك فى أمريكا الشمالية ، ولكنه فضل أن يقضى الصيف فى غرناطة كما كانت عادته . ولم يكد يستقر هناك حتى ورد على مدريد الخـبر بأنه قتل فى الطريق من غرناطة الى مسقط رأسه : فوينتى باكيروس . وقد مات فى ظروف غامضة حتى زعم بعض الناس أن القـوات الوطنية أعدمته ، وهذا غير صحيح ، لأن لوركا لم يكن له ميل سياسى

معين ولا وضع فى السياسة ولا تحمس لمذهب ، حتى لقد سخر من رجل سأله عن مذهبه السياسى فقال : اننى كاثوليكى شيوعى فوضوى متحرر تقليدى ملكى .. أنا ذلك كله فى آن واحد ..

والحق أن هذه الفترة بالذات ، فترة بدء الحرب الأهلية ، كانت فترة اضطراب شامل انطلقت فيها أحقاد كامنة وسعى الناس بعضهم ببعض ، وراح الكثيرون ضحايا دسائس وشائعات كاذبة ووشايات لم يعن أحد بتحقيقها ، لأن الجانبين : الجمهوريين والوطنيين شملتهما عصبية وخوف واسراع الى القبض على من وجهت اليهم تهمة أو ألقيت فى حقهم وشاية واعدامهم أو القائهم فى غيابات السجون ، وقد ضاعت دماء الكثيرين هباءً فى هذه الفوضى دون أن يعرف أحد على وجه التحقيق فيم كان السجن أو القتل ، أو من الذى قتل ومن الذى قبض ، ومن أسف أن لوركا كان أحد الذين هلكوا فى هذا الطوفان .

وكانت سن لوركا يوم قتل قرابة السبعة والثلاثين عاماً ، أى أنه كان فى عنفوان شبابه ، ولكنه كان قد أثبت اسمه فى سجل الخالدين فى تاريخ الأدب العالمى ، وهو — رغم العمر

القصير الذى عاشه — واحد من أظهر أدباء هذا القرن وعلم من أعلام الأدب الاسبانى على مر العصور .

مسرحية الزفاف الدامى

أعمال لوركا المسرحية قليلة العدد اذا قيست بعدد ما خلفه من بلغ مثل شهرته من الكتاب ، وهى الى جانب ذلك مسرحيات قصار ، فالزفاف الدامى لا تزيد صفحاتها على المائة ، وهى مع ذلك أطول مسرحياته ، ولكنه عرف كيف يحمّل السطور القليلة قوة درامية لم يبلغها الكثيرون من أعلام الكتاب المسرحيين فى أضعافها طولا ، لأنه كان يختار اللفظ القوى المثير ويرسل الجمل التى تفيض قوة وحيوية . وكان يمزج الشعر بالنثر فى مسرحياته ، حريصاً دائماً على أن يكون الشعر كأنه ومضات برق تهز النفس هزاً عنيفاً . ولم يتخل عن طريقة الجمع بين الشعر والنثر الا فى « بيت برناردا ألبا » ولكن نثره فى هذه المسرحية وغيرها شاعرى الروح والطابع ، لأن لوركا فى حقيقته كان شاعراً ، يفكر بخيال الشاعر ويعيش بحساسيته ، وبالنسبة لرجل كهذا لا فرق بين شعر ونثر .

و « الزفاف الدامى » فى رأى معظم النقاد هى أجمل مسرحيات لوركا وأقواها موضوعاً ، وهى واحدة من ثلاث

مسرحيات تسمى الثلاثية الأندلسية ، والاثنتان الأخريان هما « ييرما » و « بيت برناردا ألبا » ، وربما ضم بعضهم الى هذه الأندلسيات مسرحية « ماريانا بينيدا » . وهـذه المسرحيات الأندلسية التى كتبها لوركا تمتاز — رغم غرابة الشعر الذى تحتوى عليه — بواقعية تستوقف النظر فى رسم الشخصيات والمواقف ، وبمهارة فريدة فى تصوير العواطف الجياشة التى تتفجر تفجر البراكين ، وتمتاز بصورة خاصة بغلبة العنصر النسائى عليها وميل لوركا الى القول بأن المرأة هى التى تسود حياة البشر ، وهى القوة الدافعة لحركة المجتمع .

وللنـاقد الأمريكى ادوين هونيج رأى طريف فى هـذا الموضوع ، نعرضه هنا موجزاً لأنه يلقى ضـوءاً كاشفاً على طبيعة العنصر النسائى فى المسرحيات اللوركية الأندلسية . من رأى هونيج أن بطلات لوركا صور حديثة لطراز من النساء معروف فى الأدب الاسبانى كله : طراز المرأة الجياشة العواطف التى تبدو وكأنها كل شىء فى المجتمع . ولوركا يصور أولئك البطلات وكأنهن مجالات مغناطيسية تجلب على أنفسها المآسى بصورة حتمية ، وهن يجتلبن المآسى بطبعهن الحار وغريزتهن الجياشة . وهو يصور بطلاته فى صورة « جزائر » قائمة بنفسها فى بحر الحيـاة ، لا تخضع لقوانينها أو لمنطقها ، واذا شـاءت

الحياة أن تخضعهن لنظامها فلا مفر من أحد أمرين : اما أن تتحطم البطلة أو يتحطم منطق الحياة نفسها . ففى مسرحية « ماريانا بينيدا » تنتهى البطلة الى حبل المشنقة ، وفى « برناردا ألبا » تنتحر البنت الصغرى ، وفى « الزفاف الدامى » تتهدم الحياة حول العروس وتظل هى فى قيد الحياة الى النهاية .

كتب لوركا مسرحية « الزفاف الدامى » سنة ١٩٣٣ ، وأخرجت على المسرح فى مدريد فى نفس السنة ، وخلال سنوات قليلة ترجمت الى معظم لغات الدنيا ومثلت على مسارحها من موسكو الى نيويورك الى بوينوس أيريس ، وسر نجاحها هو روح المأساة الذى يشيع فيها من أول كلمة الى أن ينزل الستار ، فهى تقوم على عداوة قديمة بين أسرتين من رجال أشداء ونساء عنيدات كأنهن الصخر قوة وثباتاً .

وللقصة بطلتان : أم عفية شديدة فقدت زوجاً وابناً ولم يبق لها الا ولد واحد ، وفتاة متوحدة مع أبيها فى مزرعة نائية عن العمران ، وهذه الفتاة يضطرب صدرها بحب حبيس لم يكتب له الفرج بالزواج ، ويتقدم لخطبتها الولد الوحيد الباقى للأم التى ذكرناها ، وهى تقبل الزواج منه لتهرب من غرامها الدفين . وتزف بالفعل الى عريسها ، ولكن عاشقها القديم لا يزال يحوم حولها حتى يضل عقلها فتهرب معه ليلة الزفاف ، وتنتهى

المأساة بأن يقتل الرجلان أحدهما الآخر ، وتظل هى والأم الثكلى وجهاً لوجه فى مشهد بالغ العنف والغرابة ، وعلى هذا المشهد ينزل الستار .

وموضوع القصة على هذا صغير ، فهو لا يخرج عما قلناه ، ولكن لوركا استطاع أن ينسج حوله ثلاثة فصول من سبعة مناظر تفيض حيوية وعنفاً وقوة ، واستخدم فى الكثير من مشاهدها الشعر الشعبى استخداماً بارعاً . فالمقطعات التى يتكون منها المنظر الثانى من الفصل الأول ، والمنظر الأول من الفصل الثانى ، ثم المنظر الأول من الفصل الثالث ليست مجرد مقطعات شعبية بل كلها اشارات ورموز الى نواح من المأساة ، ويصل هذا الشعر ذروته فى المنظر قبل الأخير حيث نجد لوركا يبتكر ابتكاراً جديداً بديعاً ، وهو تجسيد معان مجردة مثل الموت وأشياء محسوسة مثل القمر فى هيئة شخوص يراها الناس وتتحدث فيسمعونها ، وهذا هو الذى يضفى على المنظر الأول من الفصل الثالث — وهو منظر طويل لا يحدث فيه شىء — قوة وحيوية ورهبة .

والكثير من مناظر هذه المسرحية أشبه بفواصل شعرية ، فهذا المنظر الذى أشرنا اليه فى الفقرة السابقة والمنظر الثانى من الفصل الأول والمنظر الأول من الفصل الثانى كلها من هذا

الطراز ، والشعر فيها كلها غريب غامض على النحـو الذى تحدثنا عنه فى أول هذا التقديم ، ويحس الانسان وهو يستمع اليه أو يقرؤه وكأنه يتأمل لوحات لبابلو بيكاسو أو سلفادور دالى : يدهش ويتعجب وقد يستنكر ، ولكنه لا يستطيع الا أن يعجب بالخيال الخصب الجامح والقوة الفنية التى يتضـمنها الشعر أو تنطوى عليها خطوط اللوحة ، وهو اذا ردد الفكر فى الشعر استبان فيه رمزاً بعيداً الى عنصر المأســاة فى القصة ؛ وأحس رغم كل شىء أن هذا الشعر الغريب يهيىء النفس للقمة التراچيدية التى تقترب فى بطء ، كأن هـــذه الأبيات سحب تتجمع شيئاً فشيئاً ورياح تتزايد قوة لحظة بعد أخرى حتى تبلغ العاصفة مداها ، ويبدو هذا بوضوح فى مشهد العرس حيث نرى العاصفة تتجمع من وراء أناشيد الفرح ورقصـه وموسيقاه ، وهذا المشهد بالذات يعتبر من أجمل ما كتب فى الأدب المسرحى على الاطلاق .

وخلال المسرحية كلها نشــهد صراعاً عنيفاً بين الغرائز الجامحة التى تريد أن تنطلق الى مداها وقواعد المجتمع التى تريد أن تستقر وتتوطد ، فالحقد والثأر يهددان النزوع الطبيعى نحو الاستقرار والرخاء ، والأم تصور الحقد والسعى نحـو الثأر ، ولكنها مع ذلك تريد لابنها أن يتزوج ويسعد . ووالد

العروس يرى فى زواج ابنته سبيلا لمزيد من الأرض والثروة ، والخطيب يريد أن ينسى ثأر أبيه وأخيه ويسعى للزواج ليطمئن ويسعد ، والعروس تجتهد فى أن تهرب من الحب الذى يملأ قلبها ويهدد كيانها كله الى الزواج من رجل يكفل لها الراحة والهناء . ولكن تعطش الأم للانتقام ورغبة العروس فى ارواء حب قديم يزداد مع الأيام عطشاً ، هاتان العاطفتان تهددان كل الآمال فى الهدوء والاستقرار .

ومن أول الرواية الى آخرها نحس أن هذين الخطرين يحومان فى جو المسرحية كلها كأنهما هياران ثلجيان يهددان بالانهيار فى كل لحظة . وشبح الخطر فى القصة كلها هو ليوناردو ، هذا الغجرى القلق الذى يحوم حول العروس كأنه ضبع تتشمم رائحة الموت ، وفى مشهد العرس بوجه خاص يبدو لنا فى صورة وحش خطر يحوم هنا وهناك فى انتظار لحظة الانقضاض على الفريسة . وقد جعله لوركا يبدو ويختفى وينتقل من جانب الى جانب وعيناه مثبتتان على الفريسة ، وصوّره فى صورة رجل أنانى لا يفكر فى غير نفسه ولا يخطر بباله أن الآخرين أيضا ناس لهم أرواح وحقوق ، حتى زوجته يضحى بها فى غير اكتراث .

وكما يحدث عندما يحس أهل قرية آمنة أن وحشاً يحوم

حولها فيخرجون لصيده ويحاصرونه من كل جانب ليردوه قتيلا، كذلك حدث لليوناردو هذا : انقض على الفريسة وهرب بها فخرج الناس جميعاً فى أعقابه ، وتدور المطاردة خلال المنظر الأولمن الفصل الأخير وتنتهى بمصرع الوحش الكاسر ومصرع قائد المطاردة وهو الزوج الذى خرج ليشترى شرفه بدمه .

وحديث الحطابين فى أول هذا المنظر ذو قوة شاعرية درامية كبرى ، وقد عرض فيه لوركا جانبى الصراع : الغريزة الجامحة والعقل المفكر ، فبينما يقول أحد الحطابين ان الانسان ينبغى أن يتبع هواه ويستجيب لنداء دمه ، يقول آخر انه لابد من القضاء على العاشقين الهاربين ، فهذا هو الجزاء العادل لمن يتمرد على المجتمع ويسعى لهدم قواعده .

والمنظر الأخير يشبه أن يكون ذيلا أو « كودا » فى نهاية سيمفونية طويلة ، فان الموضوع انتهى فعلا كقصة بمصرع الوحش والزوج ، ولكنه لم ينته كملحمة شعرية ، ومن هنا كان لابد — فى تصور لوركا — من ذلك الذيل الطويل الذى يبدو وكأنه ذلك الانحدار التدريجى المحزن فى أنغام أوپرا ڤاجنريّة .

وقد يبدو غريباً أن العروس تحاول أن تثبت — بعد كل ما فعلته — أنها امرأة شريفة ، وهى تقسم أنها طاهرة لم يطلع

أحد على بياض صدرها ، وأن الذى أصابها جنون أضل رشدها أو عاصفة طاغية انتزعتها من بيتها ، ولكنها اســـتطاعت أن تتماسك وتحافظ على شرفها ، وهى ترجو أم زوجها أن تقتلها وأن تقسو فى قتلها قدر ما تستطيع ، ولكن الأم ترفض ، لأن الكارثة التى نزلت بها قوضت قواعد العالم الذى كانت تعيش فيه ، فلم تعد تحفل لانتقام أو تحس بالرغبة فيه .

والحديث بين المرأتين انما هو دفاع عن المرأة الاسبانية كما يراها لوركا وغيره من أدباء الاسبان : رمزاً لخصال الشرف والمحافظة وتصويراً لقوة النفس والجسد ، وهذا هو المحور الذى يدور حوله معظم مسرحيات لوپ ِ دِ ڤيجا وكالدرون دِ لا باركا ، ومن هــذه الناحية يعتبر لوركا حلقة طبيعية فى سلسلة تاريخ المسرح الاسبانى كمسرح قائم بنفسه له خصائصه ومميزاته .

* * *

بقيت ملاحظتان : الأولى عن المناظر ، والثانية عن شخوص المسرحية .

فأما المناظر فان لوركا من أقل الكتاب المسرحيين تفصــيلا فى شأنها ، فهو يكتفى فى معظم الأحيان بسطر واحد مثــل قوله : « غرفة مطلية الجدران باللون الأصفر » ، أما محتويات

هذه الغرفة وهيئتها فمتروكة للمخرج يتصورها كما يريد على ضوء فهمه للمسرحية وجوها . وقد رأى بعض النقاد أن هـذا نقص فى الكتابة المسرحية عند لوركا ، ورأى آخرون أنه قصد الى ذلك قصداً ، لأنه لم يرد أن يصور مناظر بل أجواء ، أى أن تفاصيل المنظـر لا تهم ، لأن الشيء الرئيسى هو جو المنظر نفسه ، فالقصة كلها تدور فى هضبة قاحلة بعض الشيء عسيرة الأرض يسكنها ناس جفاة فى طباعهم عنف وقسوة ، وللمخرج أن يتصور المنظر بعد ذلك كما يريد .

وهذا بالذات كان دائماً من عناصر نجاح مسرحيات لوركا ، فقد أصبحت مجالات لابداع المخرجين وامتحاناً لقدرتهم على الابتكار والتصوير ، وما من مخرج مجدد فى الدنيا الا سعى الى اخراج « الزفاف الدامى » وابتكر فى تصميم المنـاظر وتصوير الجو المطلوب لكل منظر ما يسّر له علمه وفنه وتجربته، والمهم على أى حال أن يكون المخـرج واسع الاطلاع عارفاً بالبيئة التى تدور فيها حوادث القصة .

ففى المنظـر الأول — بيت الخطيب — لابد أن يكون المنظر بسيطاً ، بل بدائياً ، ولكن تبدو فيه معالم النعمة وشيء من الغنى ، وهذا الغنى يبدو فى الغالب فى صورة منضـدة مستديرة من خشب غال توضع فى وسط المنظر يغطيها مفرش

مشغول ، ثم دولاب من الخشب الثمين المشغول فى أحد الجانبين . وأما البدائية فتبدو فى هيئات الكراسى الأندلسية ، وهى كراسى المقاهى البلدية التى تملأ بالقش عندنا .

ومنظر بيت ليوناردو — وهو الثانى من الفصل الأول — بدائى فقير كله ، لأن ليوناردو هذا رجل قلق لا يستقر على حال ولا يكاد يجمع مالا ، وتلك هى مأساة حياته .

أما منظر بيت العروس فهو مشكلة ، لأن لوركا يسميه حينا مغارة ، وحينا آخر داراً ، فاذا شاء المخرج أن يصوره مغارة فلتكن شبيهة بالمغارات التى يعيش فيها الغجر فى جبل الساكرو مونتى قرب غرناطة ، وهى مغارات أشبه بالبيوت ، لا يبدو جو المغارة الا فى سقفها ، فهو مقبوء متغضن تتدلى منه آنية نحاسية وزهور كعناصر للزينة ، وفى هذه المغارات نجد غرفة الى اليمين وأخرى الى اليسار ، ولا أبواب لهذه الغرف بل تنسدل عليها ستر أشبه بأكلمة الصوف .

وهناك أربعة مناظر جديرة بعناية خاصة من المخرج ، وهى : المنظر الأول من الفصل الثانى ، وقد ذكر لوركا أنه يدور فى قاعة وسطى صغيرة فى البيت ، فيراعى أن تكون جدران هذه القاعة بيضاء ناصعة وأن يكون النور فيها قويا حتى تبدو العروس فى كامل بهائها ، وحتى يستطيع المتفرج أن يتابع

بوضوح سير الحوار بينها وبين ليوناردو . يراعى أن تكون فى هذه القاعة « تسريحة » عليها مرآة كبيرة ، ويكون لهـذه القاعة بابان واحد صغير على اليمين مثلا ، وهو الذى تدخل منه العروس ، وواحد كبير مقابل له وهو الذى يدخل منه الفتيان والفتيات .

والمنظر التالى له ، ويدور خارج المغارة التى تعيش فيهـا العروس ، وهذه المغارة هى الدار التى أشرنا اليها . المنظر يدور خارج المغارة ، ومدخلها يبدو فى الصدر فى منحدر جبـل من صخر رمادى ضارب الى الزرقة بعض الشيء ، باب المغارة باب بيت منتظم الهيئة . يلاحظ أن يقع باب المغارة فى طرف من منحدر الجبل لكى تبدو الى جانبه — فى بقية المنظر — صورة الهضبة وسمائها كما وصفها المؤلف .

والمنظر الأول من الفصل الثالث ، وهو منظر الغابة ، وقد وصفه المؤلف وصفا قصيرا ولكنه كاف . يلاحظ أنه تعمـد أن يقول ان جذوع الأشجار ضخمة رطبة ، هذا المنظر رمزى صرف ، أى أن للمخرج أن يتصرف فى تهيئته كما يريد بشرط ألا تكون الغابة استوائية .

والمنظر الأخير من المسرحية وقد وصفه المؤلف وصفا كافيا أيضا ، يراعى ما ينص عليه من فيض النور فى هذا المنظر بحيث

لا تبدو أى ظلال ، حتى تلك التى تستدعيها طبيعة المنظر واتجاهات الضوء .

أما الملابس فان الأم تلبس جلبابا طويلا أسود وتضع على رأسها طرحة سوداء ، كأى ريفية مصرية مسنة ، لا ينبغى أن يصل الثوب الى الأرض ، بل الى منتصف الساق فحسب .

والأب يرتدى فى كل المناظر التى يظهر فيها بنطلونا ذا لون حائل وصدارا أسود من الصوف ، وحزامه قطعة عريضة من القماش ، وقميصه أبيض مقفل حتى العنق . أما فى منظر العرس فيرتدى بذلة سوداء ذات صدار أسود وقميصا أبيض بدون رباط رقبة وقبعة سوداء ذات حافة قصيرة مستقيمة ، أما أعلاها ففى هيئة نصف بيضة .

والخطيب أيضا يرتدى شيئا مشابها ، أما ليوناردو فيراعى فى ملابسه أنه غجرى شارد كثيف الشعر ظاهر السمرة . فى بعض الحالات لاحظت أن حزامه من القماش الأحمر .

وملابس العروس هى ملابس الريفيات فى اسبانيا ، وهى فى الغالب ثوب من قماش رخيص قليل الزينة أو ثوب من قطعتين ، ويراعى فى تصميمه أن العروس فتاة بارعة الجمال طويلة ذات صحة طيبة وقوة .

وملابسها فى يوم الزفاف وصفها المؤلف ، ويستحسن

الاستئناس فى ذلك ببعض المراجع الخاصة بالأزياء الأندلسية .

أما الفتيان فيلبسون بنطلونا وصدارا أسودين وقميصا أبيض مقفلا حتى الرقبة ، والفتيات يظهرن فى ملابس الأندلسيات ذات الألوان الزاهية و «الكرانيش» الكثيرة التى تزين النصف الأسفل من الثوب .

* * *

ويستأنس فى وضع الموسيقى الخاصة بالأغانى بنوتات الموسيقى الشعبية الأندلسية ، وحبذا لو رجع المخرج الى مسجلات من موسيقى جرانادوس وألبينيث . ويلاحظ أننى ترجمت شعر الأغانى نثرا ، ولكنى راعيت فى هذا النثر شيئا من الموسيقية تعين على التلحين والأداء الموسيقى .

* * *

وأشخاص المسرحية نماذج من أهل بيئة قاسية فقيرة ، فهم أصحاء أشداء فيهم عنف وعصبية ، حتى الخطيب ينبغى أن يكون ظاهر الصحة والقوة رغم هدوئه ولين خلقه . وتتجلى هذه الخصائص فى الرجال والنساء على السواء ، ولكنها تبدو فى أوضح صورها فى شخصيات الأم والعروس وليوناردو ، ولكن لا تنبغى المبالغة فى تصوير العنف والتمرد ، ففى مثل هذه

المسرحيات لا يبدو العنف فى رفع الأصوات والصياح بقدر ما يبدو فى الثبات والتصميم وقوة العزيمة .

وأرجو ألا أكون قد أطلت فى هذا التقديم . انما أردت أن أقدم للقارىء والمخرج والممثل والمتفرج أكبر قدر ميسور من الملاحظات والايضاحات ، حتى تكمل الفائدة من ترجمة هـذه المسرحية العسيرة وتقديمها للناس ، والله الموفق .

القاهرة ، يناير ١٩٦٤

حسين مؤنس
أستاذ بجامعة القاهرة
ومدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

شكر واجب

ترجمت جزءا من هذه المسرحية من سنوات ، ثم تفضل الصديق الأستاذ أحمد حمروش فطلب منى ترجمتها لمؤسسة المسرح ، فقمت بترجمة جديدة كاملة ، ومن ثم فهو صاحب الفضل فى انجازها ، ويسعدنى أن أقدم له جزيل الشكر على ذلك .

وقد راجع الترجمة معى صديقى الدكتور محمود على مكى وكيل معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، ولا تفى الكلمات بحقه من الشكر . واستأنست فى حل معضلاتها بالسيد خوان جيرّيرو ثامورا رئيس قسم المسرحيات بادارة التليڤزيون فى مدريد ، وهو من أعلم الناس بالمسرح وتاريخه وخاصة المسرح المعاصر ، وله فى هذا الأخير كتاب ضخم فى ثلاثة مجلدات يعتبر من أوفى المراجع فيه ، وقد راجعت ما كتبه عن لوركا ومسرحه وأفدت منه . وقام الصديق مصطفى عبد المجيد صالح بمراجعة النص العربى واعداده للطبع فله منى أصدق الشكر .

وتفضل الزميل الكريم الدكتور على الراعى فأشار بنشر الترجمة ضمن مجموعة الأعمال المسرحية التى تنشرها مؤسسة التأليف والترجمة بوزارة الثقافة ، ويسَّر النشر صديق عزيز هو الأستاذ عثمان نوية مراقب الترجمة بها ، ولا يسعنى الا أن أتقدم اليهما بخالص الشكر .

المترجم

شخصيات المسرحية

الأم
العروس
الحماة
زوجة ليوناردو
الخادمة
الجارة
فتيات
ليوناردو
الخطيب (العريس فيما بعد)
والد العروس
القمر
الموت (فى صورة متسولة)
حطابون
فتيـــان

الفصل الأول

المنظر الأول

(غرفة مطلية الجدران باللون الأصفر)

الخطيب : (داخلا) أمي !

الأم : ماذا تريد ؟

الخطيب : أنا ذاهب .

الأم : الى أين ؟

الخطيب : الى الكرْم . (يمضي خارجا) .

الأم : انتظِر .

الخطيب : تريدين شيئا ؟

الأم : لم تتناول غداءك يا بني .

الخطيب : دعيه .. سآكل عنبا . أعطيني السكين .

الأم : لماذا ؟

الخطيب : (ضاحكا) لأقطع العنب .

الأم : (تبحث عن السكين وتتكلم وهي تصر عـلى

أسنانها) السكين !.. السكين !.. ملعونة كل السكاكين والشقى الذى اخترعها !

الخطيب : لندع الكلام فى هذا الموضوع .

الأم : (مستمرة فى كلامها) والبنادق والمسدسات وكل مدية مهما صغرت ، حتى المناجل والمذارى .

الخطيب : لكن ..

الأم : ملعون كل ما يستطيع تمزيق جسد رجل ، رجل جميل فى مقتبل عمره يخرج الى الكروم أو يمضى الى شجرات زيتونه التى يملكها لأنها ميراثه .

الخطيب : (مخفضا رأسه) اسكتى ..

الأم : وهذا الرجل يخرج ثم لا يعود .. واذا عاد فلكى يوضع عليه سعف نخيل أو طبق ملح حتى لا ينتفخ . لا أدرى كيف تجرؤ على أن تحمل فى ثيابك سكينا أو كيف أترك هذه الأفعى فى الصندوق .

(تخرج سكينا من صندوق الثياب)

الخطيب : هل قلت كل ما عندك الآن واسترحت ؟

الأم : لو أننى عشت مائة سنة لما تكلمت عن شىء

آخر . لقد فجعتنى هذه السكاكين أولا فى أبيك.
كان شابا أشم منه عطر القرنفل ، ولم أسعد
به الا ثلاث سنوات قصار . ثم أصابتنى فى
أخيك . هل ذلك من العدل ؟ كيف يمكن أن
شيئا صغيرا مثل مسدس أو سكين يقضى على
رجل ضخم كأنه ثور ؟.. لن أسكت أبدا . ان
الشـــهور تمضى والحسرة تحـرق عينى ،
بل أحس لذعها حتى أطراف شعرى .

الخطيب : (فى ضجر) ألن نفرغ من هذا الحديث ؟

الأم : لا .. لن نفرغ منه أبدا . هل يستطيع أحد أن
يرد على أباك أو أخـاك ؟ ومصـير الجناة ؟
السجن ! ما هو السجن ؟ هناك يأكلون .. هناك
يدخنون .. هناك يعزفون على الآلات ! وقتيلاى
نبتت على قبريهما الأعشاب .. انهما راقدان
تحتهما صامتين وقد صارا ترابا .. رجلان كانا
زهرتين ناضرتين .. والقتلة فى السجن.. يعيشون
فى عافية يتسلون بتأمل الجبال ..

الخطيب : أتريدين أن أمضى فأقتلهم ؟

الأم : لا .. اذا كنت أتكلم فى ذلك فلأننى .. كيف

لا أتكلم فيه وأنا أراك خارجا من هذا الباب ؟
انني أتكلم لأنني لا أرتاح لحملك السكين ..
لأنني لا أريد أن تخرج الى الحقل .

الخطيب : (ضاحكا) حسبك هذا .

الام : كنت أفضل لو كنت امرأة ..اذاً ما كنت لتخرج الآن الى الترعة ، كنا مكثنا معا نطرز ستائر ومفارش أو نصنع دُمى كلاب من الصوف .

الخطيب : (يمسك بذراع أمه ويضحك) أماه .. ماذا لو أخذتك معي الآن الى الكرم ؟

الام : وما عسى أن تفعل فى الكرم عجوز ؟ أكنت تمضى بى لتوارينى تحت شجرات العنب الصغيرة ؟

الخطيب : (حاملا أمه بين ذراعيه) أيتها العجوز .. أيتها العجوز الصغيرة .. يا عجوزتى الصغيرة ..

الام : هكذا كان أبوك يحملنى . هكذا يفعل الجنس الأصيل . هكذا يكون الدم الزكى . لقد خلّف جدك ابنا فى كل ركن . ذلك يعجبنى : الرجال رجال والقمح قمح ..

الخطيب : وأنا يا أماه ؟

الأم : أنت ؟ ماذا ؟

الخطيب : لابد أن أقول لك مرة أخرى ؟

الأم : (جادة) آه !..

الخطيب : هل تظنين أن ذلك أمر سيىء ؟

الأم : لا .

الخطيب : اذن ؟

الأم : أنا نفسى لا أعرف . هكذا ، بهـذه السرعة ؟ يبدو لى الأمر وكأنه مفاجأة . اننى أعرف أن الفتاة طيبة ، أليس كذلك ؟ مؤدبة ، شغالة ، تعجن خبزها وتحوك ثيابها ، ولكننى رغم ذلك أحس كلما ذكرت اسمها وكأن أحدا قد ضرب جبهتى بحجر .

الخطيب : هراء ..

الأم : وأكثر من هراء .. الحق أننى سأبقى وحيدة . الآن ولم يبق لى غيرك ، أكره أن تذهب عنى .

الخطيب : ولكنك ستأتين معنا .

الأم : لا .. لا أستطيع أن أترك أباك وأخاك هنـا وحيدين . لابد أن أذهب لزيارتهما كل يوم . واذا مضيتُ من هنـا فمن الممكن أن يموت

واحد من عائلة فيليكس — واحـد من أسرة القتلة — فيدفنوه قربهما . وذلك ما لا أسمح به . ولو حدث لنبشت القبر بأظافرى وضربت بجثة من يدفنونه جدران المدفن .

الخطيب : (فى ضجر) عدت الى نفس الكلام ..

الأم : معذرة يا بنى (لحظة صمت) كم عمر علاقتك بهذه الفتاة ؟

الخطيب : ثلاث سنوات . استطعت خلالها أن أشـترى الكرم .

الأم : ثلاث سنوات . كان لها خطيب آخر .. أليس كذلك ؟

الخطيب : لا أدرى ، لا أظن . وعلى الفتيات أن ينظرن ويقررن ممن يردن الزواج .

الأم : نعم . أما أنا فلم أنظر الى أحد . نظرت الى أبيك ، وعندما قتلوه لم أنظر الا الى الجـدار المقابل . لكل امرأة رجل واحد ، ولا شىء بعد ذلك .

الخطيب : أنت تعرفين أن خطيبتى صالحة .

الأم : لا أشك فى ذلك ، ومع ذلك فأنا آسفة اذ لا أعلم كيف كانت أمها .

الخطيب : وماذا يهم ذلك ؟

الأم : (تنظر اليه) يا بنى ..

الخطيب : ماذا تريدين ؟

الأم : هذا صحيح . عندك حق .. متى تريد أن أطلب يدها ؟

الخطيب : (فى سرور) يناسبك يوم الأحد ؟

الأم : (جادة) سآخذ لها القرط النحاسى . انه قديم . وأنت تشترى لها ..

الخطيب : أنت تفهمين ذلك أكثر منى .

الأم : تشترى لها جوارب أنيقة مشغولة .. وتشترى لك بذلتين .. ثلاثا .. ليس لى الا أنت ..

الخطيب : أنا ذاهب الآن . غدا أمضى لأراها .

الأم : طبعا ، طبعا . وانظر فى أن تسعدنى بستة من الأحفاد أو أى عدد منهم تريد .. ما دام أبوك لم يعش ليهبنى هذا القدر ..

الخطيب : المولود الأول سيكون لك ..

الأم : نعم ، ولكن لابد أن تنجب بعض البنات . اننى

أريد أن أسلى نفسى بالتطريز وشغل الابرة وأسعد بالهدوء .

الخطيب : أنا واثق من أنك ستحبين خطيبتى .

الأم : نعم سأحبها (تشرع فى تقبيله ثم تتوقف كأنها غيرت رأيها) اذهب الآن . لقد كبرت على القبل . أعطها لزوجتك (تصمت لحظة ، ثم تقول لنفسها) عندما تصبح زوجتك ..

الخطيب : أنا ذاهب .

الأم : قلّب جيدا جانب الأرض عند الطاحون فانك تهمله .

الخطيب : سأفعل ذلك .

الأم : اذهب فى سلامة الله (يخرج الخطيب . تظل الأم جالسة وظهرها الى الباب . تظهر عند الباب جارة فى ثياب سوداء تعصب رأسها بمنديل) ادخلى .

الجارة : كيف حالك ؟

الأم : كما ترين .

الجارة : نزلت الى الدكان فأتيت لأراك . اننا نسكن بعيدا جدا .

الأم : منذ عشرين سنة لم أصعد الى أعلى الطريق .

الجارة : تبدين فى حال طيبة .

الأم : تظنين ذلك ؟

الجارة : أشـــياء تحدث ! قبل يومين أتوا بابن جارتى محمولا وقد قطعت الآلة كلتا يديه (تجلس) .

الأم : رافائيل ؟

الجارة : نعم . وها هو الآن طريح هناك . فى أحيـــان كثيرة أرى أن ابنك وابنى أحسن حالا حيث هما : ينامان ويستريحان ولا يتعرضان للاصابة بما يقعدهما .

الأم : اسـكتى ، هذا كله مجرد كلام ولكنه لا يعزّى .

الجارة : آه ..

الأم : (متنهدة) آه ..

الجارة : (فى حزن) وابنك ؟

الأم : خرج .

الجارة : أخيرا اشترى الكرم .

الأم : كان سعيد الحظ .

الجارة : الآن سيتزوج .

الأم : (كأنها انتبهت وتذكرت شيئا . تقترب بكرسيها من كرسى جارتها) اسمعى ..

الجارة : (فى صوت من يستمع سرا) قولى ..

الأم : أتعرفين خطيبة ابنى ؟

الجارة : فتاة طيبة ..

الأم : بلى ، ولكن ..

الجارة : ولكن أحدا لا يعرفها معرفة كاملة . انها تعيش وحدها مع أبيها هناك ، بعيدا جدا على عشرة فراسخ من أقرب منزل . ولكنها فتاة صالحة ، متعودة على الوحدة .

الأم : وأمها ؟

الجارة : أما أمها فكنت أعرفها . امرأة جميلة . كان وجهها يتألق كوجه قديس ، ولكنى لم أحبها أبدا . كانت لا تحب زوجها .

الأم : (فى حدة) ما أكثر ما تعرفون أيها الناس ..

الجارة : معذرة ، لم أقصد جرح شعورك ، ولكن ما أقوله صحيح . أما فيما يتصل بسيرها فلم يقل أحد شيئا فيما اذا كانت مستقيمة أم لم تكن . هذا لم يجر فيه حديث . كانت شديدة الاعتداد بنفسها .

الأم : نفس الكلام ..

الجارة : أنت سألتنى ..

الأم : كنت أتمنى لو لم يعرف أحـد عنهما شيئا ، لا عن التى على قيد الحياة ولا عن التى ماتت . كنت أتمنى لو كانتـا كأنهما شجرتا شـوك لا يذكرهما أحد ولكنهما تخزان من يقترب منهما .

الجارة : عندك حق . ان ابنك يستحق كل خير .

الأم : نعم يستحق ، ولهذا فأنا شـديدة الاهتمـام بأمره . قالوا لى ان البنت كان لها خطيب من زمان .

الجارة : كانت سنها اذ ذاك حوالى الخامسة عشرة . وقد تزوج هو فعلا ابنة عم لها منذ عامين . ولكن أحدا لا يذكر شيئا عن خطبتهما .

الأم : وكيف تتذكرين أنت ؟

الجارة : تسألينني أسئلة غريبة ..

الأم : كل انسان يحب أن يستعلم عما يُشجيه . من كان هذا الخطيب ؟

الجارة : ليوناردو .

الأم : أىّ ليوناردو ؟

الجارة : ليوناردو ابن آل فيليكس .

الأم : (تقف) مِن آل فيليكس ؟

الجارة : ماذا بك يا امرأة ؟ ما ذنب ليوناردو فى هذا ؟ كانت سنه ثمانى سنوات عندما وقع ما وقع .

الأم : هذا صحيح ، ولكن يكفى أن أسمع اسم فيليكس .. (متحدثة من بين أسنانها) يكفى ذكر هذا الاسم ليمتلىء فمى مرارة (تبصق) ولابد أن أبصق .. لابد أن أبصق لكيلا أرتكب جريمة قتل .

الجارة : اضبطى نفسك . ماذا يجيئك من هذا ؟

الأم : لا شىء . لكنك تفهمين .

الجارة : لا تقفى فى طريق سعادة ابنك . لا تقولى له شيئا . انك امرأة عجوز ، وأنا أيضا ، وعلينا أن نطبق فمينا .

الأم : لن أقول له شيئا .

الجارة : (تقبلها) لا شىء ..

الأم : (فى هدوء) ما أغرب هذه الأشياء !

الجارة : أنا ذاهبة ، فان أهلى سيعودون من الحقل حالا .

الأم : أرأيت حرَّ اليوم ؟

الجارة : لقد اسودت من هذا الحر وجوه الأولاد الذين يحملون الماء الى الحصادين . أستودعك الله .

الأم : مع سلامة الله .

(تتجه الأم الى الباب الأيسر . تقف فى وسط الطريق وترسم الصليب على صدرها فى بطء)

ســـــــــتار

المنظر الثانى

(غرفة مطلية الجدران باللون الوردى ، مزينة بأشـــياء من النحاس وزهور مألوفة فى الوسط الأندلسى ، مثل الجرانيـــا والقرنفل . فى وسط الغرفة منضدة مغطاة بمفرش من القماش . الوقت صباحا .

حماة ليوناردو جالسة فى ركن من أركان الحجرة وبين يديها طفل تهدهده . زوجته جالسة فى ركن آخر ترفو جوربا) .

الحماة : نم يا حبيبى ، نا .. م

على حديث الحصان الكبير

عافت نفسه شرب الماء

لأن الماء كان أسود اللون .

تحت غصون الشجر

وعندما يصل الى القنطرة

يقف ويغنى .

من يقول ، يا وليدى

ماذا يحوى الماء

بمجراه الطويل

ومرجه الأخضر ؟

الزوجة : (تغنى بصوت خفيض) :

نم يا زهر القرنفل الجميل
فالحصان لا يريد الشراب

الحماة : نامى يا شجرة الورد

فالحصان يأخذ فى البكاء
وقد دميت قوائمه
وتثلجت معرفته
وفى عينيه العميقتين
انتشب خنجر فضى .
وهبطوا الى النهر
آه .. كيف هبطوا ؟
كان الدم يجرى دافقا
أقوى فى جريه من الماء

الزوجة : نامى يا زهرة القرنفل

فالحصان لا يريد الشراب

الحماة : نامى يا شجرة الورد

فالحصان يأخذ فى البكاء

الزوجة : لم يشأ أن تطأ قوائمه

شاطىء النهر غشّاه البلل ،

وساخنةً كانت خياشيمه

يحوّم عليها ذباب فضى

وفى الجبال القاسية

كان يتردد الصهيل

والماء قد مات

جامدا دون حلقه

أي ! ذلك الحصان الكبير

الذى لم يرغب فى الشراب

أي ! أسفا على حصان الفجر

المكلل بالثلج الأبيض

الحماة : لا تأت ، وتريث !

وسدّ النافذة

بغصون الأحلام

وأحلام الغصون

الزوجة : وليدى ينام

الحماة : وليدى يصمت

الزوجة : الحصان يا حبيبى

نائم على وساد

الحماة : ومهده من حديد

وفرشه من نسيج رفيع

الزوجة : نم يا حبيبى ، نا .. م

يا للحصان الكبير

الذى لم يُرد الشراب

الحماة : لا تأت ، لا تدخل !

اذهب الى الجبال

وامض الى الوديان السمراء

حيث ترعى فَرَسُك

الزوجة : (تنظر الى الطفل) :

وليدى ينام

الحماة : وليدى يستريح

الزوجة : (بصوت خفيض) :

نامى يا زهرة القرنفل

فالحصان لا يريد الشراب

الحماة : (تنهض واقفة وتغنى همسا) :

نم يا غصن الورود

فالحصان يشرع فى البكاء

(تمضى بالطفل خارجا . يدخل ليوناردو)

ليوناردو : أين الطفل ؟

الزوجة : نام .

ليوناردو : لم يكن فى حالة طيبة أمس . بكى فى الليل .

الزوجة : (فى سرور) تعافى وأصبح اليوم كزهرة دالية . وأنت ؟ هل ذهبت الى الحداد ؟

ليوناردو : من عنده أتيت الساعة . هل تصدقين هـذا ؟ لى شهران لا أضـع للحصان حدوة جـديدة الا وقعت ، يبدو أنه ينتزعها على الأحجار .

الزوجة : ألا يكون السبب أنك تكثر من ركوبه ؟

ليوناردو : أبدا ، انى لا أكاد أركبه .

الزوجة : أمس قالت لى جاراتى انهن رأينك فى آخـر السهول .

ليوناردو : من قال ذلك ؟

الزوجة : النســاء اللائى يجمعن التـين البرى . وقد أدهشنى ذلك حقا . أكنت أنت ؟

ليوناردو : لا . وما عساى أن أصنع هناك فى تلك الأرض المقفرة ؟

الزوجة : هذا ما قلت ، ولكن الحصـان كان يتصبب عرقا .

ليوناردو : هل رأيته أنت هكذا ؟

الزوجة : لا ، ولكن أمك .

ليوناردو : هل هى مع الطفل ؟

الزوجة : نعم . هل تريد شيئا من شراب الليمون ؟

ليوناردو : بالماء البارد جدا .

الزوجة : كيف لم تأت للغداء ؟

ليوناردو : كنت مع كيّالى القمح . ان صحبتهم مسلية .

الزوجة : (تصنع شراب الليمون وتقول فى صوت بالغ الرقة) هل دفعوا لك ثمنا طيباً ؟

ليوناردو : الثمن العادل .

الزوجة : يلزمنى ثوب وللطفل غطاء رأس بشرائط .

ليوناردو : (يقف) سأذهب لأراه .

الزوجة : كن رفيقا ، فهو نائم .

الحماة : (داخلة) من الذى كان يركض بالحصان على هذا النحو ؟ انه واقف منهوك القوى أسفل الدار وقد جحظت عيناه كأنه أقبل يعدو من آخر الدنيا .

ليوناردو : (فى حدة) أنا .

الحماة : معذرة . هو حصانك .

الزوجة : (فى حياء) كان مع كيّالى القمح .

الحماة : من جانبى أنا .. فلينفق الحصان ! (تجلس . لحظة صمت) .

الزوجة : مشروبك .. هل هو بارد ؟

ليوناردو : نعم .

الزوجة : هل علمت أن ابنة عمى ستخطب ؟

ليوناردو : متى ؟

الزوجة : غدا . سيكون الزفاف فى خلال شهر . أرجو أن يأتوا لدعوتنا .

ليوناردو : (فى جد) لا أدرى .

الحماة : أظن أن أمه لم تكن راضية عن ذلك الزواج .

ليوناردو : ربما كانت على حق . انها فتاة ينبغى الحذر منهـا .

الزوجة : لا يعجبنى أن تظن سوءا بفتاة طيبة .

الحماة : (فى لهجة من يعنى ما يقول) اذا كان يظن سـوءا فلأنه يعرفها . ألا ترين أنهـا كانت خطيبته ثلاث سنوات ؟

ليوناردو : ولكننى تركتها (لزوجته) هل ستبدئين فى البكاء الآن ؟ دعى ذلك (يبعد يدها عن وجههـا فى عنف) لنذهب لنرى الولد .

(يخرجان ويد كل منهما تحيط بالآخر .
تظهر فتاة على باب الحجرة والسرور باد
على وجهها . تدخل جريا) .

الفتاة : سيدتى ..

الحماة : ماذا جرى ؟

الفتاة : أتى الخطيب الى الدكان واشـــترى أحسن
ما هناك .

الحماة : أتى وحده ؟

الفتاة : لا . أتى مع أمه . .امرأة عابسة طويلة (تقلدها)
ولكن .. أى فخامة !

الحماة : هؤلاء عندهم مال .

الفتاة : اشتريا عــددا من الجــوارب المشــغولة . أى
جوارب ! جوارب هى حلم كل امرأة ! انظرى :
مزينة برسم عصفور هنا (تشير الى عقبها)
ورسم قارب هنا (تشير الى ساقها) ، ووردة
هنا (تشير الى فخذها) .

الحماة : يا بنت !

الفتاة : وردة كاملة بورقها وغصنها .. آه .. كلها من
الحرير ..

الحماة : ثروة طائلة ستتزوج ثروة طائلة ..

(يظهر ليوناردو وزوجته)

الفتاة : أتيت أخبركم ماذا اشتريا ..

ليوناردو : (فى عنف) هذا لا يعنينا .

الزوجة : دعها تقول .

الحماة : ليوناردو . المسألة لا تستحق هذا كله .

الفتاة : (تذهب باكية) سامحونى ..

الحماة : ما يَحوِجك الى اغضاب الناس ؟

ليوناردو : لم أسألك رأيك (يجلس) .

الحماة : طيب .. (صمت) .

الزوجة : (لليوناردو) ماذا بك ؟ ماذا يختمر فى رأسك ؟
لا تدعنى هكذا جاهلة بكل شىء .

ليوناردو : اسكتى !

الزوجة : لن أسكت . أريد أن تنظر الىّ وتتكلم .

ليوناردو : دعينى (ينهض واقفا) .

الزوجة : الى أين ؟

ليوناردو : (فى حدة) ألا تستطيعين الصمت ؟

الحماة : (موجهة الحديث الى الزوجة فى عنف)
اسكتى .. (يخرج ليوناردو) الولد !

(تدخل ثم تخرج بالطفل بين ذراعيها .
اثناء ذلك تظل الزوجة واقفة مكانهـــــا
جامدة . الحماة تغنى للطفل)

لقد جرحت قوائمه

وتثلجت معرفته

ونفذ فى عينيه

خنجر فضى .

ونزلوا الى النهر

آى .. كيف نزلوا ؟

كان الدم يجرى

دافقا أشد من الماء

الزوجة : (تتلفت حولها فى بطء كأنها تحلم ، ثم تغنى) :

نامى يا زهرة القرنفل

فالحصان يشرب الماء

الحماة : نم يا غصن الورود

فالحصان يشرع فى البكاء

الزوجة : نم يا حبيبى ، نام ..

الحماة : آه ! يا للحصان الكبير

الذى لم يَرِد الشراب

الزوجة : (تغنى فى نغم حزين) :

لا تقبل ، ولا تدخل
اذهب الى الجبال
آه .. يا لألم الثلوج
يا حصان الغجر الكبير !

الحماة : (باكية) :
وليدى ينام .

الزوجة : (تبكى وهى تقترب فى بطء وتغنى) :
وليدى يستريح .

الحماة : نامى يا زهرة القرنفل
فالحصان لا يريد شرب الماء

الزوجة : (باكية وهى تستند بذراعيها الى المنضدة) :
نم يا غصن الورد الجميل
فالحصان يشرع فى البكاء

ســــتار

المنظر الثالث

(داخل المغارة التى تعيش فيها العروس . فى صدر المنظر صليب من زهور وردية اللون كبيرة . الأبواب مقوسة من اعلى تغطيها ستر من الدنتلا وأشرطة وردية اللون . الجدران جامدة جافية مطلية بالجير الأبيض ، عليها مراوح يدوية اسبانية مفتوحة ومعلقة للزينة . على الجدران أيضا أباريق ماء صغيرة زخرفية ملونة باللون الأزرق ، ومرايا صغيرة)

الخادمة : تفضلوا (تتحدث فى تظرف بالغ يبدو فيه النفاق الرخيص . يدخل الخطيب وأمه . الأم تلبس ثوبا من الساتان الأسود وتضع على رأسها طرحة سوداء مطرزة . الخطيب يلبس بذلة سوداء من الطراز الذى يلبسونه فى جنوب اسبانيا (الأندلس) ، تزين بذلته سلسلة ذهبية كبيرة) هل تتفضلان بالجلوس ؟ سيأتيان حالا (تخرج)

(تجلس الأم والخطيب ويظلان فترة طويلة ساكنين كأنهما تمثالان)

الأم : هل معك ساعتك ؟

الخطيب : نعم (يخرجها وينظر فيها) .

الأم : علينا أن نعود فى وقت مناسب . هؤلاء الناس يسكنون بعيدا جدا .

الخطيب : ولكن هذه الأرض جيدة .

الأم : نعم جيدة ، ولكنها منعزلة جدا . أربع ساعات فى الطريق دون أن نرى دارا أو شجرة .

الخطيب : هذه هى أراضى الجفاف .

الأم : لو كانت لأبيك لغطاها بالأشجار .

الخطيب : من غير ماء ؟

الأم : كان يحث عنه ووجده . خلال السنوات الثلاث التى دامها زواجنا زرع عشر شجرات كرز (تجتهد فى التذكر) وشجرات البندق الثلاث التى عند الطاحونة ، وكرما كاملا وشجرة تسمى الخنوبنتر تعطى زهورا حمراء ، ولكن هذه جفت وماتت (لحظة صمت) .

الخطيب : (مشيرا الى الباب الذى ستدخل منه العروس) : لابد أنها تلبس .

(يدخل والد العروس . انه رجل عجوز شعر رأسه أبيض ناصع . رأسه منحن بعض الشىء . الأم والخطيب ينهضان ويصافحانه فى صمت)

الأب : كانت رحلتكما طويلة ؟

الأم : أربع ساعات (تجلس هى وابنها) .

الأب : أتيتما بالطريق الأطول .

الأم : لقد كبرت سنى ولم أعد أستطيع السير فى الأراضى الصخرية ناحية النهر .

الخطيب : يأتيها دوار .

الأب : محصول جيد من الحَلْفاء .

الأم : محصول طيب فعلا .

الأب : فى أيام شبابى لم تكن هذه الأرض تنبِت حتى الحلفاء ، كان لابد من العمل الشاق فيها ، بل عصرها عصرا ، حتى تخرج لنا شيئا له بعض الفائدة .

الأم : ولكنها تنبت الآن . لا داعى للشكوى . لم آت لأطلب منك شيئا .

الأب : (باسما) أنتِ أغنى منى ، فالكروم تساوى شيئا كثيرا ، كل شجيرة عنب صغيرة تساوى قطعة من الفضة . ان ما آسف له هو أن أراضينا — وأنت تفهمين ما أعنى — بعيدة بعضها عن بعض ، وأنا أحب أن يكون كل

شيء متجمعاً . كأنما فى صدرى شوكة لا أستطيع نزعها ، هى تلك الحديقة الصغيرة القائمة وسط أرضى ولا يريدون أن يبيعونى اياها بذهب الدنيا كله .

الخطيب : هكذا يحدث دائما .

الأب : لو استطعنا أن نشد كرومك الى عشرين زوجا من الثيران ليجروها الى هنا ويضعوها عند هذا السفح ! .. كم كان ذلك يسعدنى ..

الأم : ولماذا ؟

الأب : لأن أرضى ملك ابنتى ، وأرضك ملك ابنك .. بهذا يجتمع كل شيء فى مكان واحد .. ما أجمل جمع الأشياء بعضها الى بعض ..

الخطيب : ثم ان ذلك يسهل العمل .

الأم : بعد أن أموت ، بيعوا أرضى واشتروا أخرى الى جوار هذه .

الأب : (يبدى اشارة امتعاض) بيعوا .. بيعوا .. بل نشترى يا صاحبتى ، نشترى كل شيء . لو كان لى أولاد لكنت اشتريت هذا الجبل كله حتى شط النهر . انها أرض ليست طيبة ،

ولكن السواعد القوية تخلق منها أرضا جيدة ،
ثم ان أحدا لا يمر من هنا فلا يسرق المحصول
ويستطيع الانسان أن ينام آمنا (لحظة صمت) .

الام : أنت تعرف لماذا أتيت ..

الأب : نعم .

الام : واذن ؟

الأب : أنا موافق ، وقد تكلما فى الأمر .

الام : ان ابنى ذو مال ، وهو يستطيع كثيرا .

الأب : كذلك ابنتى .

الام : وابنى وسيم طيب ، لم يعرف امرأة فى حياته ،
واسمه أنظف من ملاءة بيضاء منشورة فى
الشمس .

الأب : لست فى حاجة لأن أحدثك عن ابنتى . انها
تعجن الخبز فى الثالثة قبل أن يطلع الفجر . انها
لا تتكلم أبدا ، وهى رقيقة كالصوف وتعمل
بيدها كل صنوف التطريز ، وهى قوية تستطيع
قطع الحبل الغليظ بأسنانها .

الام : ليبارك الله دارها !

الأب : أجل ، ليباركها الله !

(تظهر الخادم حاملة صينيتين ، واحدة عليها كؤوس مشروبات والأخرى عليها حلوى)

الأم : (لابنها) متى تريد العرس ؟

الخطيب : الخميس القادم .

الأب : فى هذا اليوم تتم ابنتى اثنين وعشرين عاما .

الأم : اثنان وعشرون عاما . لو عاش ابنى الكبير لكان فى هذه السن الآن وأصبح دافق الشباب وفحلا كما كان .. لو أن الناس لم يخترعوا السكاكين..

الأب : لا ينبغى التفكير فى هذا .

الأم : اننى أفكر فيه كل دقيقة . ضع يدك على صدرك لتحس بذلك .

الأب : يوم الخميس اذن ، أليس كذلك ؟

الخطيب : نعم .

الأب : سيذهب العروسان معنا فى سيارة الزفاف حتى الكنيسة لأنها بعيدة . أما المرافقون فسيذهبون بالعربات أو على الخيل .

الأم : موافقة .

(تمر الخادمة بالمشروبات والحلوى)

الأب : (للخادمة) قولى لها انها تستطيع الدخول (للأم) يسرنى جدا لو أعجبتك .

(تظهر العروس . يداها مرسلتان على جنبيها فى هيئة تواضع ، وهى مخفضة رأسها)

الأم : اقتربى .. سعيدة أنت ؟

العروس : نعم يا سيدتى .

الأب : خففى عن نفسك هذا الحياء .. انها ستكون أمك آخر الأمر .

العروس : اننى سعيدة . لقد قلت نعم لأننى أريد ذلك .

الأم : طبعا (تمسك ذقن العروس) انظرى الىّ .

الأب : انها تشبه امرأتى فى كل شىء .

الأم : ما أجمل منظرها .. أتعرفين ما معنى الزواج يا بنية ؟

العروس : نعم ، أعرف ..

الأم : رجل وبعض الأولاد وغرفة عرضها ذراعان لكل ما عدا ذلك .

الخطيب : هل بقى شىء نقوله ؟

الأم : لا . كل ما أرجوه أن تعيشوا كلكم .. هذا هو المهم .. أن تعيشوا ..

العروس : اننى أعرف كيف أقوم بواجبى .

الام : اليك بعض الهدايا لكِ .

العروس : شكرا .

الأب : ألا نشرب شيئا ؟

الام : أنا لا أريد شيئا (لابنها) وأنت ؟

الخطيب : سأتناول شيئا (يأخذ قطعة حلوى وتأخذ العروس أخرى) .

الأب : (للخطيب) شيئا من النبيذ ؟

الام : انه لا يذوقه .

الأب : أحسن (يقفون جميعا) .

الخطيب : (للعروس) سآتى غدا .

العروس : فى أى ساعة ؟

الخطيب : الخامسة .

العروس : سأنتظرك .

الخطيب : عندما أبتعد عنك أشعر بفراغ كبير وكأن غصة فى حلقى .

العروس : عندما تصبح زوجى لن تحس بذلك .

الخطيب : هكذا أقول لنفسى .

الأم : هيا بنا ، ان الشمس لا تنتظر (للأب) موافقون على كل شيء ؟

الأب : موافقون .

الأم : (للخادمة) أستودعكِ الله .

الخادمة : مع سلامة الله .

(الأم تقبل العروس ويسيرون نحو الباب في صمت)

الأم : (وهى على الباب) وداعا يا ابنتى .

(العروس تشير بيدها مودعة)

الأب : سأخرج معكما (يخرجون) .

الخادمة : رؤية هذه الهدايا تقتلنى ..

العروس : (فى حدة) اسكتى .

الخادمة : يا بنت .. أرينى اياها .

العروس : لا أريد .

الخادمة : الجوارب على الأقل .. يقولون انها كلها مشغولة بالابرة .. أرجوكِ !

العروس : قلت لا .

الخادمة : يا حفيظ .. يبدو أنك لا ترغبين فى الزواج ..

العروس : (تعض يدها فى غيظ) أى !

الخادمة : يا بنت .. يا بنت ! .. ماذا جرى لك ؟ هل أنت آسفة على حياة الملكة التى تعيشينها هنـا ؟ لا تفكرى فى أشياء مريرة .. هل لديك ما يدعو الى ذلك ؟ لا شيء .. تعالى نرى الهدايا ..

(تتناول الصندوق)

العروس : (تمسك معصمها فى عنف) دعى هذا ..

الخادمة : يالك من امرأة !

العروس : قلت دعيه ..

الخادمة : انك أقوى من رجل .

العروس : ألم أقم بعمل رجل ؟ ليتنى كنت رجلا ..

الخادمة : لا تتكلمى هكذا .

العروس : اسكتى ، قلت لك . لنتكلم فى موضوع آخر (يبدأ الضوء فى الخفوت فى المسرح . لحظة صمت طويلة) .

الخادمة : هل سمعت صوت حصان الليلة الماضية ؟

العروس : فى أى ساعة ؟

الخادمة : الثالثة .

العروس : قد يكون حصانا شرد من القطيع .

الخادمة : لا .. كان عليه فارس .

العروس : كيف علمتِ ذلك ؟

الخادمة : رأيته . كان واقفا عند النافذة ، وقد أفزعنى ذلك .

العروس : ربما كان خطيبى . يأتى أحيانا فى ذلك الوقت .

الخادمة : لا ، لم يكن هو .

العروس : رأيتِـه ؟

الخادمة : نعم .

العروس : ومَـن كان ؟

الخادمة : كان ليوناردو .

العروس : (فى عنف) كاذبة .. أنتِ كاذبة .. لماذا يأتى الى هنا ؟

الخادمة : لقد أتى .

العروس : اسكتى .. ملعون لسانك .

(تسمع ضوضاء حصان يركض)

الخادمة : (تنظر من النافذة) انظرى .. تعالى وانظرى .. ألم يكن هو ؟

العروس : نعم هو .

(ينزل الستار سريعا)

نهاية الفصل الأول

الفصل الثاني

المنظر الأول

(ردهة دار العروس ، أى القاعة التى تتوسط الغرف . باب كبير فى صدر المنظر . الوقت ليل . تدخل العروس فى قميص ابيض أسفله مزين بالشرائط والدنتلا وأعلاه صدار أبيض محكم على الجسد وذراعاها عاريتان . تدخل الخادمة فى ثوب مماثل) .

الخادمة : هنا سأكمل تسريح شعرك .

العروس : لا يمكن البقاء فى الداخل ، فالحر شديد .

الخادمة : فى هذه النواحى لا يلطف الجو حتى فى الفجر .

(تجلس العروس على كرسى منخفض وبيدها مرآة تنظر فيها ، وتقوم الخادمة بتصفيف شعرها)

العروس : أمى أصلها من ناحية كثيرة الأشجار .. من أرض غنية .

الخادمة : ولهذا كانت مرحة .

العروس : ولكن هذه الأرض أهلكتها .

الخادمة : هكذا أراد القدر .

العروس : كما نهلك كلنا هنا .. الجدران تنفث نارا .. أى .. لا تشدى هكذا .. !

الخادمة : لابد من ذلك لتكون هذه الموجة من الشعر على أحسن صورة . أريد أن تنزل على جبهتك (تنظر العروس الى نفسها فى المرآة) ما أجملك! أى ! (تقبلها بحرارة) .

العروس : (فى صوت جاد) استمرى فى التصفيف .

الخادمة : ما أسعدك ! ستطوقين رجلا بذراعيك وتقبلينه وتحسين به ..

العروس : اسكتى .

الخادمة : وأجمل ما هناك عندما تستيقظين وتحسين به الى جوارك ، ونَفَسُه يداعب كتفيك كأنه ريشة بلبـــل ..

العروس : (فى عنف) ألا تريدين أن تسكتى ؟

الخادمة : ولكن يا بنيتى .. هذا زواج .. أليس كذلك ؟.. الزواج هو ما قلتُ وزيادة .. أم الزواج هو الحـــلوى ، وباقات الزهور ؟ لا .. انه فراش يتألق ، ورجل وامرأة ..

العروس : هذا شىء لا يقال .

الخادمة : ذلك موضوع آخر .. ولكنه شيء جميل .

العروس : أو مرير .

الخادمة : سأضع لك شريط الزهور من هنا الى هنا حتى يتألق الاكليل فوق الشعر .

العروس : (تنظر الى نفسها فى المرآة) هاتى .

(تأخذ شريط الزهور وتنظر اليه ، ثم تحنى رأسها وقد بدا عليها الارهاق)

الخادمة : ما هذا ؟

العروس : دعينى .

الخادمة : ليس هذا وقت الحزن (محاولة ادخال السرور على نفسها) هاتى الزهور (العروس ترمى بها) يا بنتى .. انك تستنزلين غضب الله اذ تلقين بالاكليل على الأرض .. ارفعى وجهك هذا ! ألا تريدين الزواج ؟ قولى ذلك الآن .. لا زلت تستطيعين العدول عنه الآن ..

العروس : (تنهض) : اننى أشعر بسحب عاصفة .. أحس كأن ريحا شديدة تعصف فى صدرى .. من منا لم يشعر بذلك وقتا ما ؟

الخادمة : هل تحبين خطيبك ؟

العروس : نعم أحبه .

الخادمة : طبعا .. طبعا .. أنا واثقة من ذلك .

العروس : ولكنى مقدمة على خطوة خطيرة ..

الخادمة : لابد أن تسيريها .

العروس : لقد أعطيت كلمتى .

الخادمة : سأضع لك الاكليل .

العروس : (تجلس) أسرعى .. لابد أن الناس على وشك الوصول .

الخادمة : لهم ساعتان على الأقل فى الطريق .

العروس : كم المسافة من هنا الى الكنيسة ؟

الخادمة : خمسة فراسخ بطريق النهر .. أما بالطريق العادى فهى ضعف ذلك .

(تنهض العروس وتتحمس الخادمة وتطرب لرؤيتها وتغنى)

استيقظى يا عروس وانهضى
فقد أقبل يوم زفافك
ولتقبل أنهار الدنيا كلها
لتحمل اكليلك

العروس : (تبتسم) هيا بنا ..

الخادمة : (تقبلها فى حماس وترقص حولها) :

استيقظى يا عروس
يزينك الغصن الأخضر
يوشّيه زهر الغار
استيقظى يا عروس
انهضى يا عروس بقوام كأنه غصن غار يانع

(يسمع دق على الباب)

العروس : افتحى .. لابد أنهم أول الضيوف .

(تدخل العروس · الخادمة تفتح الباب وتقف فى دهشة) ·

الخادمة : أنت ؟

ليوناردو : نعم أنا . صباح الخير .

الخادمة : أولَ الضيوف ؟

ليوناردو : ألم يدعونى ؟

الخادمة : نعـم .

ليوناردو : فلهذا أتيت .

الخادمة : وزوجتك .. أين هى ؟

ليوناردو : أتيت على حصانى ، وهى قادمة على الطريق .

الخادمة : ألم يقابلك أحد ؟

ليوناردو : مررت بهم على حصانى .

الخادمة : ستقتل الحيوان المسكين بهذا الجرى الكثير .

ليوناردو : اذا مات ، مات (لحظة صمت) .

الخادمة : اجلس ، لم يستيقظ أحد بعد .

ليوناردو : والعروس .. أين هى ؟

الخادمة : سأقوم بالباسها الآن .

ليوناردو : لابد أنها سعيدة ..

الخادمة : (محاولة تغيير موضوع الحديث) والطفل ؟

ليوناردو : أى طفل ؟

الخادمة : ابنك .

ليوناردو : (يتذكر كما لو كان فى حلم) آه ..

الخادمة : هل سيأتون به ؟

ليوناردو : لا (تسمع أصوات ناس تغنى من بعيد) :

استيقظى يا عروس

صباح يوم الزفاف

ليوناردو : (مرددا) :

استيقظى يا عروس

صباح يوم الزفاف

الخادمة : ها هم الناس مقبلين من بعيد .

ليوناردو : (وهو يقف) ستضع العروس على رأسها اكليلا

كبيرا ، أليس كذلك ؟ لا ينبغى أن يكون كبيرا جدا ، يناسبها أكثر لو كان أصغر قليلا .. هل أتى العريس بشريط الزهور الذى تضـــعه العروس على صدرها ؟

العروس : (تظهر فى المدخل . لا زالت تلبس القميص . اكليل الزهور على رأسها) نعم أتى به .

الخادمة : (محتدة) لا تظهرى هكذا .

العروس : وماذا يهم ذلك ؟ (لليوناردو فى صوت جاد) لماذا تسأل عما اذا كانوا قد أتوا بشريط الزهر؟ هل تنوى شيئا ؟

ليوناردو : ماذا يمكن أن أنوى ؟ (يقترب منهـا) أنت تعرفيننى ، وتعرفين أنى لا أضمر أى نية . قولى لى : ماذا كنت بالنسبة لك ؟ اعصرى ذهنك وتذكرى .. ولكنك فضلت زوجا من الثيران وكوخا حقيرا .. ذلك هو المؤلم .

العروس : لماذا أتيت ؟

ليوناردو : لأشهد زفافك .

العروس : أنا أيضا حضرت زفافك .

ليوناردو : اننى مقيد اليك .. مقتول بيديك .. آه ، ان

قتلى هين ، ولكن أحدا لا يستطيع أن يبصق
عليّ .. المال ، ذلك الذى يبعث كل هـــذا
الوهج ، يبصق أحيانا .

العروس : كذب !

ليوناردو : لا أريد أن أتكلم لأننى رجـل حـار الدماء ، ولا أريد أن أصرخ فتسمع صوتى هذه التلال كلهـا .

العروس : وصرخاتى أنا ستكون أعلى وأقوى .

الخادمة : هذا الكلام لا يمكن أن يستمر على هـــذه الصورة . لا ينبغى أن تتكلمى فيما مضى وفات (تنظر الى الأبواب فى خوف وقلق) .

العروس : عندها حق . لا ينبغى لى حتى أن أكلمك ، ولكن نفسى ضاقت اذ أتيت لترانى ولتشعل زفافى نارا ، ثم تسأل فى نية سيئة عن الزهور التى سأضعها على صدرى .. اذهب وانتظر زوجتك على الباب .

ليوناردو : ولكن ، ألا نستطيع أن نتكلم ، أنا وأنت ؟

الخادمة : (فى غضب) لا ، لا تستطيعان أن تتكلما .

ليوناردو : منذ أن تزوجتُ وأنا أسأل نفسى ليل نهار : من

كان المخطىء ؟ وفى كل مرة أسأل نفسى يبدو لى
ذنب جديد يأكل الذنب الماضى ، ولكن هناك
ذنبا باقيا على أى حال .

العروس : إن رجلا على ظهر حصان يعرف أشياء كثيرة
ويستطيع أن يفعل كثيرا ليرهق فتاة تقيم فى
خلاء . ولكن لى كبريائى . لهـذا سأتزوج ،
وسأغلق بيتى على نفسى وزوجى ، وعلىّ أن
أحبه فوق كل شىء .

ليوناردو : الكبرياء لن تغنى عنك شيئا (يقترب منها) .

العروس : لا تقترب .

ليوناردو : ان أشد عقاب نستطيع انزاله بأنفسنا هو الصمت
والنار تتلظى فى قلوبنـا .. ماذا جنيت أنا من
كبريائى ومن حرمانى نفسى من النظـر اليك
وتركى اياك ساهرة ليلة بعد ليلة ؟ لم ينفعنى ذلك
بشىء ! كل ما أتانى من ذلك مزيد من النار التى
أحتـرق فيها ! أتظنين أن الزمن يداوى وأن
الجدران تدارى ؟ ذلك غـير صحيح .. غـير
صحيح ! عندما تبلغ الأشياء هـذا العمق من
القلوب فليس هناك ما ينزعها ..

العروس : (وقد سرت فى جسدها رعدة) لا أستطيع أن أصغى اليك . لا أستطيع سماع صوتك .. اننى أشعر كما لو كنتُ قد شربتُ زجاجة من الخمر القوية ثم نمت على فراش من الزهور .. أشعر كأن شيئا يجذبنى فى عنف ، وأعرف أننى سأغرق .. ولكنى أمضى وراء ذلك الصوت .

الخادمة : (تمسك بقلابتى سترة ليوناردو) لابد أن تذهب الآن ، حالا .

ليوناردو : هذه آخر مرة أكلمها .. لا تخافى شيئا ..

العروس : اننى أعرف أنى مجنونة ، وأعرف أن قلبى يتحطم بألم الصبر والاحتمال .. ولكن ها أنا تهدأ نفسى لسماعه ولمجرد رؤيته يحرك ذراعيه .

ليوناردو : ما كنت لأهدأ لو لم أقل لك ذلك.. لقد تزوجت أنا ، فلتتزوجى أنت الآن .

الخادمة : (لليوناردو) نعم ، ستتزوج !

(أصوات تغنى من مسافة أقرب) :

استيقظى يا عروس استيقظى
صباح يوم الزفاف

العروس : لتستيقظ العروس !

(تخرج مسرعة الى غرفتها)

الخادمة : لقد أتى الناس (لليوناردو) لا تقترب منها مرة أخرى .

ليوناردو : لا تخافى (يخرج من الباب الأيسر . يبدأ نور النهار فى الانتشار) .

فتاة أولى : (وهى داخلة) :

لتنهض العروس
صباح يوم الزفاف
ولتمض فرقة العازفين والراقصين
وفى كل شرفة اكليل زهور

أصوات : لتنهض العروس .

الخادمة : (مشجعة للمغنين) :

فلتنهض العروس
مع الغصن الأخضر
غصن الحب الزاهر
فلتنهض العروس
على جذع وغصن
من شجر الغار

فتاة ثانية : (داخلة) :

لتنهض العروس

بشعرها الطويل

وقميصها الأبيض الزاهى

وحذائها اللامع المفضض

وجبينها يزينه الياسمين

الخادمة : أيتها الراعية

أهلاً ضياء القمر

الفتاة الأولى : أيها الفارس الرشيق

دع قبعتك على شجرة الزيتون

فتى أول : (يدخل رافعا قبعته الى أعلى) :

لتنهض العروس

فان موكب الزفاف

مقبل عبر الحقول

بأطباق الزهر الجميل

وفطائر يوم العيد

اصوات : لتنهض العروس

الفتاة الثانية : ها هى العروس

على رأسها تاج الزهر الأبيض

وها هو العريس

يثبته بشرائط من ذهب

الخادمة : وتحت شجرة البرتقال .

لا يزور النوم جفن العروس

فتاة ثالثة : (داخلة) :

تحت شجرة البرتقال

يهديها العريس ملعقة ومنديلا

(يدخل ثلاثة من الضيوف)

الفتى الأول : استيقظى يا يمامة

فعندما يطلع الفجر

تهتز أجراس لها ظلال

احد الضيوف : العروس ، العروس البيضاء

انها اليوم عذراء

وغداً سيدة ذات جلال

الفتاة الأولى : انزلى يا سميراء

تجرين ذيل الحرير الطويل

احد الضيوف : السميراء تنزل

ونسيم الصبح العليل يحمل تاج الندى

الفتى الأول : استيقظى أيتها الزوجة انهضى

فالنسيم يحيى ناثرا الزهور

الخادمة : سأطرز لها ثوبا برسم شجرة

وأحيطها بشرائط حمراء داكنة

وعلى كل شريط أرسم قلبا

وأكتب حوله : لتحيى العروس

صوات : لتنهض العروس

فتى الأول : صباح يوم الزفاف

حد الضيوف : صباح يوم الزفاف

أى رشاقة ستزينك

ستبدين زهرة من زهر الجبال

كأنك زوجة قائد كبير

لأب : (داخلا) :

زوجة قائد كبير

سيمضى بها العريس

ها هو قد أتى بثيرانه

حاملا كنزها الثمين

الفتاة الثالثة : والعريس كأنه

زهرة الذهب

وهو عندما يسير

تطلع عند مواطىء قدميه

زهرات قرنفل بديع

الخادمة : يا طفلتى ذات الحظ السعيد

الفتى الثانى : لتنهض العروس

الخادمة : يا بنيتى الرشيقة

الفتاة الأولى : ها هو الزفاف يدعو

من كل نافذة وطاق

الفتاة الثانية : لتخرج العروس

الفتاة الأولى : لتخرج الى الناس وتظهر

الخادمة : ولتدق الأجراس

برنين جميـــل

الفتى الأول : ها هى العروس مقبلة

ها هى قد خرجت

الخادمة : والزفاف قد قام على ساق

كأنه ثور عظيم

(تظهر العروس ترتدى ثوب زفاف أسود من طراز سنة ١٩٠٠ ، وله كرانيش وذيل طويل كلها مزينة بالتل الرقيق وأشرطـــة الحرير المنشاة . شعرها مصفف وتزين راسها بأكاليل من زهر البرتقال . تعزف القيثارات . الفتيات يقبلن العروس)

الفتاة الثالثة : أى عطر تضعين فى شعرك ؟

العروس : (ضاحكة) لا أضع عطرا .

الفتاة الثانية : (ناظرة الى ثوب العروس) هذا النسيج نادر الوجود .

الفتى الأول : ها هو العريس ..

العريس : أحييكم ..

الفتاة الأولى : (وهى تضع له زهرة خلف أذنه) :
يبدو العريس
وكأنه زهرة الذهب

الفتاة الثانية : وفى عينيه تبدو
علائم الهناء

(العريس يذهب الى العروس)

العروس : لماذا لبست هذا الحذاء ؟

العريس : لأن لونه أبهج من اللون الأسود .

زوجة ليوناردو : (داخلة ، ثم ماضية لتقبيل العروس) تحياتى !

(يتحدثون جميعا فى مرح وانطلاق)

ليوناردو : (يدخل متكلفا كمن يؤدى واجبا) :
فى يوم زفافك
نضع على رأسك الاكليل

زوجة ليوناردو : لكى تشمل السعادة الحقول

بالندى الذى يقطر من شعرك

أم العريس : (لوالد العروس) هؤلاء أيضا هنا ؟

والدالعروس : انهم من العائلة ، وهذا يوم غفران .

أم العريس : سأحتمل وجودهم ، ولكنى لن أغفر .

العريس : منظرك هكذا بالاكليل يشرح الصدر .

العروس : لنمض الى الكنيسة مسرعين .

العريس : متعجلة ؟

العروس : نعم ، أريد أن يتم زواجنا ثم أبقى بعد ذلك وحدى معك لا أسمع الا صوتك ..

العريس : وهذا ما أريد .

العروس : ولا أريد أن أرى الا عينيك ، وأريد أن تضمنى الى صدرك فى قوة حتى لو أن المرحومة أمى نادتنى لما استطعت التخلص من ذراعيك .

العريس : ان ذراعىّ قويتـان ، وسأضمك بهما أربعين سنة متوالية .

العروس : (فى صوت بادى التأثر وهى تأخذ بذراعيه) الى الأبد ..

والدالعروس : لنمض مسرعين .. اركبوا خيلكم وعرباتكم فقد طلعت الشمس .

أم العريس : امضوا فى رفق حتى لا يحدث شيء .

(يفتح الباب الكبير فى الصـــدر ويبـدأ الناس فى الخروج)

الخادمة : (وهى تبكى) :

عندما تغادرين دارك

أيتها العذراء البيضاء

اذكرى أنك تمضين

مع نجم من نجوم السماء

الفتاة الأولى : طاهرة الجسد والثياب

تمضين من دارك الى زفافك

(يأخذون فى الخروج)

الفتاة الثانية : الآن تغادرين دارك

والى الكنيسة تمضين

الخادمة : والنسيم ينثر الزهور

على رمال الطريق

الفتاة الثالثة : يا للعروس البيضاء

الخادمة : كأن زينة طرحة رأسها

نسائم جميلة سمراء

(يخرجون . تسمع أصوات قيثـــارات وكاستانييتــــات وطبول ، ولا يبقى الا ليوناردو وزوجته)

الزوجـة : هيا بنا .

ليوناردو : الى أين ؟

الزوجة : الى الكنيسة ، ولكنك لن تذهب على حصانك ، ستأتى معى .

ليوناردو : فى العربة ؟

الزوجـة : وهل هناك غيرها ؟

ليوناردو : لست ممن يذهبون فى العربات .

الزوجة : وأنا لست ممن يذهبن الى زفاف دون أزواجهن. لم أعد أستطيع احتمـال هذه الحال أكثر من ذلك .

ليوناردو : ولا أنا .

الزوجـة : ولماذا تنظر الىّ هكذا ، وكأن شوكة فى كل عين من عينيك ؟

ليوناردو : هيا بنا ..

الزوجـة : لا أدرى ماذا يدور من حولى ، ولكن شـيئا يدور فى خاطرى .. لا أريد أن أفكر .. ان شيئا واحدا يبدو لى فى وضوح : أنك تخليت عنى .. ولكن لى منك طفلا ، وفى الطريق طفل آخر .. هكذا تمضى الأمور بنا . نفس الحظ التعس

حاق بأمى .. ولكنى لن أنتقل من هنا ..

أصوات : (تغنى من الخارج) :

عندما تغادرين دارك

والى الكنيسة تمضين

اذكرى أنك تخرجين

كأنك نجم يضىء

الزوجـة : (باكية وهى تردد) :

اذكرى أنك تخرجين

كأنك نجم يضىء

هكذا خرجت أنا أيضا .. كان الأمان يملأ قلبى

حتى خلت أن صدرى يتسع للحقول كلها ..

ليوناردو : (ناهضا) هيا بنا .

الزوجـة : ولكن ، سنذهب معا .

ليوناردو : نعم .. هيا ، سيرى (يخرجان) .

أصوات : (تغنى خارجا) :

عندما تغادرين دارك

والى الكنيسة تمضين

اذكرى أنك تخرجين

كأنك نجم يضىء

(يهبط الستار فى بطء)

المنظر الثانى

(خارج المغارة التى تعيش فيها العروس . لون الجدران أبيض مغبر بعض الشيء وأزرق حائل (باهت) . تبدو شجرات تين شوكى كثيرة كابية ضاربة الى اللون الفضى . تبدو حول المغارة طبيعة الهضبة الجافية . كل شيء فى المنظر يبدو جامدا مثل التصاوير المعروفة على قطع القاشانى لمناظر الجبال التى يقيم فيها الفجر) .

الخادمة : (وهى تعد مائدة عليها كؤوس وأطباق) :

كانت تدور

وتدور الساقية

وكان الماء منها يفيض .

اذا أقبلت ليلة الزفاف

فلتفترق الغصون

وليهبط ضوء القمر

على سياج شرفتها البيضاء ..

(ثم تقول فى صوت عال) :

ضعى المفارش

(ثم فى صوت حزين) :

كانوا يغنون

كان الأزواج يغنون
وكان الماء يجرى ويفيض
فقد أقبلت ليلة الزفاف .
فَلْتَزْدَهِ الفاكهةُ الجافةُ بالحلاوة
ولتمتلىء بالعسل
لوزاتٌ طعمُها مرير
(ثم تقول فى صوت عال) :
أعدوا النبيذ !
(ثم فى صوت حزين) :
أيتها الغادة الرشيقة
يا أرشق من فى الوجود
انظرى كيف يتدفق الماء
فقد أقبل يوم زفافك .
ضمى اليك ثيابك
وتحت جناح زوجك
لا تغادرى دارك
لأن الزوج فرخ يمام
فى صدره شعلة من نار
والحقول تترقب الشائعات

عن الدم المراق .
كانت تدور ..
كانت الساقية تدور
وكان الماء يجرى ويفيض
فقد أهلَّ عيد زفافك
فاتركى الماء يبعث بالبريق

أم العريس : (وهى داخلة) أخيرا آن الأوان !

والدالعروس : هل نحن أول من وصل ؟

الخادمة : لا . منذ قليل وصل ليوناردو مع زوجته ، قطعا الطريق فى سرعة الشياطين ، ووصلت الزوجة ميتة من الخوف ، طارا الى هنا كأنما أتيا على ظهر حصان .

والدالعروس : هذا الرجل يبحث عن الشر . ان دمه دم سوء .

أم العريس : أى دم ذلك الذى يجـرى فى بدنه ! انه دم أسرته كلها . ورثوه عن جد جدهم ، ذلك الملعون الذى بدأ حياته قاتلا ، وجرى ذلك الدم فى كل هـذا الجنس الشرير ، جنس ماهـر فى استخدام السكاكين ، وناس ذوو ابتسـامات صفراء كاذبة .

الوالد : لنصرف النظر عن هذا الموضوع .

الخادمة : كيف تصرف النظر عنه ؟

الأم : انه ليؤلمني حتى ليصل الألم الى أطراف عروقي . في وجوه أولئك الناس جميعا لا أرى الا اليد التي غالت عزيزا كان لي . هل تراني بعينيك ؟ ألست أبدو لك مجنونة ذاهبة العقل ؟ هذا صحيح . وسبب جنوني أنني لم أصرخ مرة صرخة تشفي غليل صدري . ان في هذا الصدر صرخة قائمة كالشجى ، وأنا أكتمها وأداريها بثيابي . ولكن الموتى مضوا لحالهم ، وعليّ أن أصمت . وهناك ألسنة الناس التي تنقد وتلذع (تخلع شالها) .

الوالد : ليس هذا يوما تتذكرين فيه هذه الأشياء .

الأم : عندما يجر الحديث الى هذا الموضوع فانني لا أتمالك أن أتكلم ، ودواعي الكلام فيه اليوم أكثر ، لأنني اليوم سأبقى وحيدة في داري .

الوالد : حتى يرزقك الله بمن يؤنس وحدتك .

الأم : هذا أملي : الأحفاد (يجلسان) .

الوالد : أرجو أن يرزقا أولادا كثيرين . هذه الأرض

فى حاجة الى سواعد كثيرة لا يُدفع لها أجر .
لابد من صراع عنيف مع الحشائش الضارة
والأشواك والصخور التى لا يدرى أحد من أين
تأتى . هذه السواعد لابد أن تكون سواعد
أصحاب الأرض ، سواعد تزيل العقبات وتسود
هذه البطاح وتخرج النبات من البذور . نحن
فى حاجة الى أولاد كثيرين .

الأم : وعدد من البنات .. الأولاد تمضى بهم الرياح ،
لأنهم مضطرون الى حمل السلاح ، أما البنات
فلا يخرجن الى عرض الطريق أبدا .

الوالد : (فى سرور) سيرزقان بنين وبنات .

الأم : سيكفلها ولدى كفالة كاملة . انه من بذرة
صالحة . كان من الممكن أن يكون لأبيه أولاد
كثيرون منى .

الوالد : ليت ما نرجوه يتم فى يوم واحد ، فنراهما سريعا
ولهما ولدان أو ثلاثة .

الأم : ولكن هذا لا يحدث . لابد من وقت طويل ،
ولهذا يفجع الواحد منا اذ يرى دمه مراقاً على
الأرض . فيض من الدم يضيع فى دقيقة بعد أن

كلّفنا سنوات وسنوات . عندما أدركت ابنى
وجدته مسجى على الأرض فى وسط الطريق .
خضبت يدى بدمه ولعقتها ، لأنه دمى .. أنت
لا تعرف هذا .. كنت أود لو جمعت التراب
المخضب بالدم وحفظته فى انـاء من البـلور
والتوپاز .

الوالد : الآن عليك أن تصبرى .. ان ابنتى ولود وابنك
عفى .

الأم : هذا ما أرجوه (ينهضان) .

الوالد : أعدى أطباق القمح .

الخادمة : انها معدة .

زوجة ليوناردو : (داخلة) زواج مبارك !

الأم : شكرا .

ليوناردو : هل ستقيمون حفلا ؟

الوالد : حفلا صغيرا ، الناس لا يستطيعون البقاء طويلا .

الخادمة : حضر الناس .

(يدخل الضيوف فى جماعات مرحـة .
يدخل العروسان ويد أحدهما فى يد الآخر .
يخرج ليوناردو)

العريس : لم نشهد مثل هذا الجمع فى زفاف آخر .

العروس : (فى ضيق) أبدا .

الوالد : كان زفافا بديعا .

الأم : عائلات بأسرها حضرت .

العريس : بل حضر ناس لم يخرجوا قبل ذلك من بيوتهم .

الأم : أبوك أحسن الغرس ، وأنت تحصد ما زرع .

العريس : كان هناك أبناء عم لى لم أرهم من قبل .

الأم : كل أهل الساحل حضروا .

العريس : (فى سرور) لقد أفزعتهم الخيل .

الأم : (للعروس) فيم تفكرين ؟

العروس : لا أفكر فى شيء .

الأم : عندما تحل البركات يحس الانسان بثقلها .

(يسمع عزف قيثارات)

العروس : فى ثقل الرصاص .

الأم : ولكن لا ينبغى أن تثقل كاهلك ، ينبغى أن تكونى مرحة كأنك حمامة .

العروس : هل سبقين هنا هذه الليلة ؟

الأم : لا .. بيتى ليس فيه أحد .

العروس : ينبغى أن تبقى .

الوالد : (لأم العروس) انظرى .. لقد اصطفوا للرقص . سيرقصون رقصات من شاطىء البحر .

(يدخل ليوناردو ويجلس . زوجته تقف جامدة خلفه)

الأم : انهم أبناء عم زوجى ، وهم فى الرقص جامدون كالأحجار .

الوالد : يسرنى أن أراهم .. أى تغيير طرأ على هـذا البيت ! (يذهب) .

العريس : (للعروس) هل أعجبتك الزهور ؟

العروس : (تنظر اليه نظرة فاحصة) نعم .

العريس : كلها زهور صناعية من الشمع . ستبقى الى الأبد ، كم كنت أتمنى لو وضعتِ منها عـلى ثيابك كلها .

العروس : لا ضرورة لذلك .

(ليوناردو يمضى الى جهة اليمين)

الفتاة الأولى : (للعروس) تعالى لننزع الدبابيس من شعرك .

العروس : (للعريس) سأعود حالا .

زوجة ليوناردو : أرجو أن تسعد مع ابنة عمى .

العريس : لا أشك فى ذلك .

زوجة ليوناردو : ستبقيان هنا معا ولا تخرجان أبدا ، وستبنيان بيتكما . ليتنى أنا أيضا أوفق الى هذا المدى .

العريس : لماذا لا تشترون أرضا ؟.. الأرض فى سفح الجبل رخيصة والأولاد ينشأون فيها أحسن ..

الزوجة : ليس لدينا مال ، وخاصة اذا استمرت حياتنا على هذه الصورة ..

العريس : ان زوجك يحسن العمل .

الزوجة : نعم ، ولكنه يحوّم ويطير أكثر مما ينبغى ، ويتنقّل من شىء الى شىء . انه رجل لا يعرف الهدوء .

الخادمة : (للعريس وزوجة ليوناردو) ألا تتناولان شيئا ؟ سأعد لأمك ربطة من كعك النبيذ ، انها تحبه جدا .

العريس : أعدى لها ثلاث ربطات .

زوجة ليوناردو : لا .. لا .. نصف ربطة تكفى .

العريس : ولكن هذا يوم فريد .

الزوجة : (للخادمة) وليوناردو ؟

الخادمة : لم أره .

العريس : لابد أنه مع الناس .

الزوجـة : سأذهب لأرى (تذهب) .

الخادمة : (تنظر الى الراقصين) ما أجمل هذا !

العريس : وأنت ؟ ألا ترقصين ؟

الخادمة : لا يطلبنى أحد للرقص .

(تمر فتاتان فى صدر المنظر . خلال هذا المشهد كله ينبغى أن يكون صدر المسرح عامرا بحركة الناس)

العريس : هذا لأنهم لا يفهمون . ان النساء الناضجات مثلك يرقصن أحسن مما ترقص الشابات ..

الخادمة : أتريد مغازلتى يا ولد ؟.. أى أسرة أسرتك ! رجال من ظهور رجال .. لقد شهدت وأنا طفلة زفاف جدك .. أى منظر ! كأنما كانوا يزفون جبلا !

العريس : اننى أقصر منه .

الخادمة : ولكن نفس البريق فى عينيك .. والعروس ، أين هى ؟

العريس : ذهبت تنزع اكليلها .

الخادمة : أه .. اسمع : بما أنكما لن تكونا نائمين فى الليل ، فقد أعددت لكما فخذا من لحم الخنزير

وبضعة أكواب كبار من الخمر المعتقة .. ستجدها
على الرف الأسفل فى خزانة الطعام .. لعلكما
تحتاجان اليها ..

العريس : (باسما) لا آكل فى منتصف الليل ..

الخادمة : (فى خبث) اذا لم تأكل أنت .. أكلت العروس
(تذهب) .

الفتى الأول : (داخلا وموجها الحديث للعريس) لابد أن
تشرب معنا .

العريس : اننى أنتظر العروس .

الفتى الثانى : ستكون معك فى الفجر ..

الفتى الأول : تلك أحسن لحظة للشراب ..

الفتى الثانى : لحظة قصيرة معنا !

العريس : هيا بنا .

(يخرجون. تسمع أصوات عالية وضوضاء
ناس أخذهم حماس الحفل . تدخل
العروس . من الباب المقابل تدخل فتاتان
تعدوان نحوها)

الفتاة الأولى : (للعروس) لمن أعطيت الدبوس الأول ؟ لى أم
لهذه ؟

العروس : لا أذكر .

الفتاة الأولى : أعطيتنيه هنا ..

الفتاة الثانية : بل أعطيتنيه عند المذبح .

العروس : (فى حالة اضطراب . يبدو أنها تغالب صراعا داخليا) لا أعرف شيئا ..

الفتاة الأولى : المسألة أننى أريد منك ..

العروس : (مقاطعة) لا يعنينى ما تريدين .. لدىّ أشياء كثيرة أفكر فيها ..

الفتاة الثانية : معذرة (ليوناردو يمر من ناحية لناحية فى صدر المنظر) .

العروس : هذه اللحظة من العمر لحظة اضطراب شديد ..

الفتاة الأولى : لا علم لنا بذلك ..

العروس : ستعرفان هذا عندما يجىء دوركما فى الزواج.. هذه خطوات عسيرة ..

الفتاة الأولى : هل ضايقك الزفاف ؟

العروس : لا ، أرجوكما المعذرة ..

الفتاة الثانية : عن ماذا ؟ ولكن الدبوسين يساعدان على الزواج .. أليس كذلك ؟

العروس : نعم .. الاثنان ..

الفتاة الأولى : واذن فستتزوج احدانا قبل الأخرى ..

العروس : الى هذا الحد مشتاقتان الى الزواج ؟..

الفتاة الثانية : (فى خجل) نعم ..

العروس : لماذا ؟..

الفتاة الأولى : لأنه .. (تعانق صاحبتها . تجريان خارجتين - يقبل العريس خلف عروسه ويطوقها بذراعيه) -

العروس : (فى فزع شديد) دعنى ..

العريس : تفزعين منى ؟..

العروس : آه .. أهو أنت ؟

العريس : ومَن غيرى ؟ (لحظةصمت) اما أبوك واما أنا ..

العروس : صحيح ..

العريس : لو كان أبوك لضمك أرفق منى ..

العروس : طبعا ..

العريس : (يعانقها فى قوة وفى شىء من المفـاجأة) لأنه عجوز ..

العروس : (فى جفاء) دعنى ..

العريس : ولمَ ؟ (يتركها) .

العروس : لأن .. لأن الناس يروننا (تمر الخـادمة من خلفهما دون أن تنظر اليهما) .

العريس : وماذا فى هذا ؟ لقد تزوجنا ..

العروس : صحيح .. ولكن دعنى الآن .. فيما بعد ..

العريس : ماذا بكِ ؟ كأنك خائفة ؟..

العروس : مابى شىء .. ابق الى جانبى (تدخل زوجة ليوناردو) .

زوجة ليوناردو : لا أريد ازعاجكما ..

العريس : قولى ما تريدين .

الزوجة : هل مر زوجى من هنا ؟

العريس : لا .

الزوجة : اننى لا أجده ، وحصانه ليس فى الحظيرة .

العريس : (فى سرور) لابد أنه خرج يجرى به شيئا .

(تذهب زوجة ليوناردو بادية القلق .
تدخل الخادمة الى المسرح)

الزوجة : ألستما سعيدين بكل هذه التمنيات الطيبة ؟

العروس : أود لو ينتهى ذلك .. ان العروس متعبة بعض الشىء .

الزوجة : ما هذا يا بنيتى ؟..

العروس : أشعر وكأن ضربة أصابت رأسى ..

الزوجة : عروس من بنات هذه الجبال .. لابد أن تكون عفية (للعريس) أنت الوحيد الذى يستطيع أن

يداويها .. لأنها امرأتك .. (تعدو خارجة) .

العريس : (يضمها اليه) لنذهب الى الرقص لحظة (يقبلها) .

العروس : (فى خوف) لا .. أريد أن أستلقى فى فراشى بعض الوقت ..

العريس : اذن أرافقك ..

العروس : مستحيل !.. وكل أولئك الناس هنا ؟.. ماذا يقولون ؟.. دعنى أسترح لحظة ..

العريس : كما تريدين .. ولكن لا تستمرى هكذا الى الليل ..

العروس : (عند الباب) فى الليل سأكون أحسن ..

العريس : هذا ما أرجوه (تدخل الأم) .

الأم : يا ابنى !..

العريس : أين كنتِ ؟

الأم : وسط هذه الضوضاء كلها .. هل أنت سعيد ؟

العريس : نعم .

الأم : وامرأتك ؟

العريس . تستريح قليلا .. هذا يوم عسير على العرائس ..

الأم : يوم عسير ؟ انه اليوم الوحيد الجميل . فى مثل

هــذا اليوم من عمرى أحسست كأنما ورثت الدنيــا (تدخل الخــادمة وتتجه الى غــرفة العروس) هذا يوم احياء أرض وزرع شجر جديد ..

العريس : ستتركيننا بعد الحفل ؟

الأم : نعم ، لابد أن أكون فى بيتى ..

العريس : وحدك ؟

الأم : لن أكون وحدى . ان رأسى حافل بأشــياء كثيرة ، وعامر برجال وألوان من الصراع .

العريس : ولكن هذا الصراع لم يعد له الآن محل .

(تدخل الخادمة مسرعة وتجرى ثم تخرج من باب صدر المنظر)

الأم : ما دام الانسان حيا فالصراع قائم .

العريس : ستظل طاعتى لكِ كما هى ..

الأم : اجتهد فى أن تكون عطوفا على زوجتك دائما ، واذا وجدت منها مرة غرورا أو نشوزا فداعبها دعابة تؤلمها بعض الشىء : ضمها اليك بقوة ، أو عضها ثم قبلها بعد ذلك فى رفق .. هكذا تحول بينها وبين الغضب ، ولكنك تشعرها أنك

الرجل ، أنك السيد ، وأنك صاحب الأمر .
هكذا تعلمت من أبيـــك ، والآن وقد ذهب
أبوك الى حال سبيله فعلىّ أنا أن أدلك على
ما يقويك ويشد أزرك ..

العريس : سأفعل دائما ما تأمريننى به .

الأب : (داخلا) ابنتى .. أين هى ؟

العريس : انها فى الداخل (يذهب الأب للبحث عنها) .

الفتاة الأولى : (للعريس) ليأت العروسان ، سنقوم برقصة
معـــا .

الفتى الأول : (للعريس) أنت ستقود الرقص .

الأب : (خارجا) انها ليست هنا .

العريس : غير ممكن ..

الأب : لابد أنها صعدت الى الشرفة .

العريس : سأرى (يخرج) .

(تسمع أصوات وقيثارات)

الفتاة الأولى : لقد بدأوا (تخرج) .

العريس : (داخلا) ليست هناك !

الأم : (فى قلق) غير ممكن ..

الأب : أين تكون قد ذهبت ؟

الخادمة : (داخلة) البنت .. أين تكون ؟

الام : (فى صوت جاد) لا نعرف .

(يخرج العريس ، ويدخل ثلاثـــة من الضيوف)

الاب : (فى قلق وحيرة) ألا تكون فى الرقص ؟

الخادمة : ليست هناك .

الاب : (فى غضب) هناك ناس كثيرون .. ابحثوا عنها .

الخادمة : بحثت ..

الاب : (فى انفعال) اذن أين هى ؟

العريس : (داخلا) لا أثر لها فى أى مكان ..

أم العريس : (لوالد العروس) ما هذا ؟ أين ابنتك ؟

(تدخل زوجة ليوناردو)

زوجة ليوناردو : هربا .. هربا معا ! هى وليوناردو ، هربا على الحصان .. هربا متعانقين كأنهما سهم مارق .

الاب : غير صحيح .. ابنتى لا تفعل ذلك .

الام : بل تفعله .. انها نبتة من أم سيئة .. وهو مثلها .. ولكنها الآن زوجة ابنى .

العريس : (داخلا) سنتعقبهما .. من لديه حصان ؟

الام : من لديه حصان الساعة ؟.. من لديه حصان ؟.. سـأعطيه فيه كل ما أملك ، وعينىّ ، وحتى لسانى ..

اصوات : هاكم حصانا ..

الأم : (لابنها) امض فى طلبهما (يمضى فى رفقة شابين) لا .. لا تذهب ، هؤلاء ناس يقتلون بسرعة ، ويحسنون القتل .. ولكن .. أجل .. امض ، امض سريعا وسأتبعك ..

الأب : هذا لا يمكن أن تفعله ابنتى .. قد تكون ألقت نفسها فى البئر .

الأم : الذين يلقون أنفسهم فى الماء هم الأشراف ، هم الأطهار .. أما هذه فلا .. ولكنها الآن زوجة ابنى . هنا فريقان من الناس (يدخل الجميع) أسرتى وأسرتك .. اخرجوا كلكم من هنا .. انفضوا غبار أحذيتكم .. سنمضى لنصرة ابنى (يفترق الناس فريقين) ان وراءه أسرته .. أبناء عمه من السواحل ، وكل الذين أتوا من الداخل .. اخرجوا من هنا ، امضوا فى كل طريق . حانت ساعة الدم مرة أخرى . سنخرج فريقين : أنت ومن معك ، وأنا ومن معى .. خلفهما !.. خلفهما !..

ستار

ـن ثالث

المنظر الأول

(فى غابة ، والوقت ليل . جذوع أشجار ضخمة عليها بلل المطر . جو مظلم . يسمع صوت قيثارتين (آلتى ڤيولين)) .

(يدخل ثلاثة من الحطابين)

الحطاب الأول : هل وجدوهما ؟

الحطاب الثانى : لا ، ولكنهم يبحثون عنهما فى كل مكان .

الحطاب الثالث : سيعثرون عليهما .

الحطاب الثانى : ششششت !

الحطاب الثالث : ماذا ؟

الحطاب الثانى : يبدو أنهم يقتربون من كل الطرق فى آن واحد .

الحطاب الأول : عندما يطلع القمر سيرونهما .

الحطاب الثانى : كان ينبغى أن يدعوهما وشأنهما .

الحطاب الأول : الدنيا كبيرة وفيها متسع للجميع .

الحطاب الثالث : سيقتلونهما ..

الحطاب الثانى : ينبغى أن يتبع كل انسان هواه ، لقد أحسنا اذ هربا .

الحطاب الأول : كان كل منهما يخدع الآخر ، ولكن نداء الدم غلب .

الحطاب الثالث : الدم !

الحطاب الأول : على الانسان أن يسير فى الطريق الذى يقوده اليه دمه ..

الحطاب الثانى : ولكن الدم الذى يرى النور تشربه الأرض ..

الحطاب الأول : وما الضرر فى ذلك ؟ خير للانسان أن يتصفى دمه ويموت من أن يعيش ودمه متعفن فى جسده .

الحطاب الثالث : اصمتا ..

الحطاب الأول : ماذا ؟ هل تسمع شيئا ؟..

الحطاب الثالث : أسمع غناء صَرّارِ الليل ونقيق الضفادع وأحس تربص الليل ..

الحطاب الأول : ولكن ، لا أثر للحصان .

الحطاب الثالث : لا أثر ..

الحطاب الأول : لابد أنه يحبها الآن ..

الحطاب الثانى : كان جسدها مقدرا له وجسده مقدرا لها ..

الحطاب الثالث : سيعثرون عليهما وسيقتلونهما .

الحطاب الأول : ولكن حتى يجدوهما يكون دمهما قد اختلط وأصبحا كاناءين فارغين أو كنهرين جافين ..

الحطاب الثاني : السماء مغطاة بالسحب ، ولن يستطيع القمر الظهور .

الحطاب الثالث : سيجدهما الزوج على ضوء القمر أو بدونه .
لقد رأيته خارجا فى طلبهما كأنه شهاب غاضب .
كان وجهه فى لون الرماد وفى ملامحه ارتسم مصير قومه جميعا .

الحطاب الأول : قومه القتلى وأجسادهم طريحة فى عرض الطريق .

الحطاب الثاني : أصبت !

الحطاب الثالث : تظن أنهما سيستطيعان الافلات من الحصار ؟

الحطاب الثاني : ذلك صعب جدا .. هناك سكاكين وبنادق محيطة بهما على مدى عشرة فراسخ .

الحطاب الثالث : معه حصان جيد .

الحطاب الثاني : ولكن معه امرأة ..

الحطاب الأول : نحن قريبون منهما الآن .

الحطاب الثانى : بقيت شجرة ذات أربعين غصنا ، الآن نقطعها ونتهى .

الحطاب الثالث : الآن يطلع القمر .. لنسرع الآن .

(نور يضىء الجانب الأيسر من المنظر)

الحطاب الأول : أيها القمر الطالع

تتبدّى بين أوراق كبار

الحطاب الثانى : نورك يصبغ الياسمين بلون الدم

الحطاب الأول : أيها القمر الوحيد

تتبدى بين أوراق خضراء

الحطاب الثانى : كفضة على وجه العروس

الحطاب الثالث : أيها القمر الشرير

دع للهوى غصنا ظليلا

الحطاب الأول : أيها القمر الحزين

دع للهوى غصنا ظليلا

(يخرجون . يظهر القمر فى الجانب المضىء من المنظر على اليسار . يبدو فى هيئة حطاب شاب ناصع الوجه . ينتشر على المسرح ضوء أزرق ساطع)

القمر : بَجَعٌ سابح وسط النهر

عين ترنو وسط جدران الكنيس

فجر كاذب بين أوراق الغصون
هذا أنا ، ومنى لا هروب .
مَن هذا الذى يتخفّى ؟ ومن ذا ينتحب
بين أشجار الشوك فى بطن الوادى ؟
ان القمر يرمى مدية
ويدعها فى الهواء عالقة ،
نصل يتربص فى ثقل الرصاص
مشتاقا الى أن يصير
ألما ينزف الدماء .
دعونى أدخل ، لقد أقبلت مقرورا
من النوافذ والجدران .
اكشفوا السقوف وافتحوا الصدور
لكى أدخل وأستدفىء .
أحس بردا ، ولى رماد
من معادن مستسلمة للرقاد
تبحث عن قمة النار
على أعالى الجبال والطرقات .
ولكن الثلج يحملنى
على ظهره المتجعد

وفى مياه المستنقعات القاسية الباردة
تتراءى ظلالى
ولكن ، هذه الليلة سيجرى
فى وجنتىّ دم نجيع
ومنه سيرتوى القصب المتراكم
فى مهاب الرياح العاتية .
لتختفِ المخابىء والظلال
لكيلا يتمكننا من الفرار
فاننى أريد أن أستقر فى صدر
أظفر فيه بالدفء
قلب خالص لى
دافىء يسكب ما فيه
على جبال صدرى
دعونى أدخل ! أى ، دعونى !
(متحدثا الى الغصون)
لا أريد ظلالا فان شعاعى
لابد أن ينفذ فى كل مكان ،
حتى الظلمة بين الجذوع
لينفذ فيها قبس من ضياء

فهذه الليلة لابد أن تظفر وجنتاى

وأكوام القصب المتراكم

عند مهاب الرياح العاتية

بفيض من عذب الدماء

من ذا يختفى ها هنا ؟ اخرج أقول !

لا ، لا سبيل الى الفرار

سأسكب من ضيائى على الحصان

نارا تتوهج كالماس

(يختفى بين الأشجار ويعود الظلام فيشمل المنظر . تخرج امرأة عجوز مغطاة تماما بثياب رقيقة خضراء داكنة . تظهر حافية القدمين ، وجهها لا يكاد يبدو بين طيات الثياب . هذه الشخصية غير مذكورة بين شخصيات المسرحية)

المتسولة : هذا القمر يولى ، وهما يقتربان .

لن يمرا من هنا ، فان همس مياه النهر

وأزيز الريح بين جذوع الأشجار

سيكتمان صرخاتهما أن تذيع

هنا ، وعاجلا ، لابد أن يقع المحذور .

لقد وهنت قواى .

التوابيت مفتوحة تترقب ،
والأكفان تنتظر على فراش الزفاف .
جسدين ثقيلين مقطوعى الوريد
لا يستيقظن طيرٌ ، ولا يجرِ نسيم
حاملا فى طياته أنينهما
وطائراً به الى قمم الأشجار السوداء
أو يغيبه فى ترب رقيق
(فى ضجر)
هذا القمر ! هذا القمر !

(يظهر القمر مرة أخرى ويعود الضوء الأزرق الساطع)

القمر : ها هم أولاء قادمون
بعضهم على الطريق الصغير
وآخرون على طريق النهر
الآن أضيء أحجار الطريق (موجها الحديث للمتسولة) ماذا تريدين ؟

المتسولة : لا شىء !

القمر : الآن تهب الرياح فى عنف بسلاح ذى حدين .

المتسولة : ألق ضوءك على الصدور وافتح أزرار الثياب والأسنة بعد ذلك تعرف طريقها .

القمر : ولكن ، ليكن موتهما بطيئا ، حتى يستطيع
الـدم
أن يجرى بين أصابعى همسه الرقيق
انظرى ، ها هى ودیانى تصحو ، وهى من رماد
مشتاقة لفيض الدم المتحدر

المتسولة : لن ندعهما يعبران النهر . صمتاً !

القمر : ها هم أولاء قادمون .

(يختفى القمر . يعود الظلام الى المسرح)

المتسولة : أسرع بفيض النور ، أتسمعنى ؟
لا سبيل الى الفرار

(يدخل العريس مع الفتى الأول . تجلس المتسولة وتتغطى بثوبها)

العريس : من هنا ؟..

الفتى الأول : لن تجدهما ..

العريس : بل سأظفر بهما ..

الفتى الأول : أظن أنهما سلكا طريقا آخر .

العريس : لا ، من لحظة أحسست عدو الحصان .

الفتى الأول : قد يكون حصانا آخر .

العريس : (فى انفعال) اسمع ، ليس فى الدنيا غير حصان

واحد ، هو هذا ، أفهمت ؟ اذا كنت ستتبعنى
فاتبعنى صامتا .

الفتى الأول : أردتُ ..

العريس : اسكت . أنا واثق أنني سأجدهما هنا .. أترى
هذه الذراع ؟ انها ليست ذراعى ، بل ذراع
أخى وأبى والذين ماتوا من قومى . وفى هذه
الذراع من القوة ما أستطيع بها اقتلاع هـذه
الشجرة من أصلها لو أردت . لنمض من هنا ،
فانى أحس كما لو كانت أسنان أهلى كلهم قد
انتشبت هنا حتى لا أستطيع أن أتنفس .

المتسولة : (متوجعة) أى !

الفتى الأول : هل سمعت ؟

العريس : امض من هنا ، ودر دورة ..

الفتى الأول : ما هذه الا حملة صيد .

العريس : نعم ، صيد . انه أكبر صيد يمكن أن يكون .

(يـذهب الفتى الأول . يسير العريس
مسرعا ناحية الشمال فيتعثر فى المتسولة
وهى رمز للموت)

المتسولة : أى !

العريس : ماذا تريدين ؟

المتسولة : أشعر ببرد .

العريس : الى أين تمضين ؟

المتسولة : (مستمرة فى التوجع على طريقة المتسولين) هناك بعيداً .

العريس : من أين أتيتِ ؟

المتسولة : من هناك ، من بعيد جدا .

العريس : هل رأيتِ رجلا وامرأة على ظهر حصان ؟

المتسولة : (كأنها تستيقظ) انتظـر (تنظـر اليه) فتى جميل .. (تنهض) ولكنك تكون أجمل وأنت طريح .

العريس : قولى لى ، أجيبينى ! أرأيتِهما ؟

المتسولة : صبراً .. ما أعرض منكبيك ! كيف لا تريد أن تكون موسداً عليهما بدلا من السير على قدميك الصغيرتين هاتين ؟

العريس : (يهزها فى عنف) سألتكِ هل رأيتِهما ؟.. هل مَرّا من هنا ؟

المتسولة : (فى حماس) لم يمرا بعد ، ولكنهما خارجان الآن من وراء التل .. ألا تسمعهما ؟

العريس : لا .

المتسولة : ألا تعرف الطريق ؟

العريس : سأذهب أيا كان هذا الطريق .

المتسولة : سأرافقك . انني أعرف هذه الناحية .

العريس : (متعجلا) فلنذهب اذن .. من أين ؟

المتسولة : (فى لهجة درامية) من هناك .

(يخرجان مسرعين . صوت آلتى ڤيولين — ترمزان الى الغابة — يسمع من بعيد . يعود الحطابون يحملون فؤوسهم على أكتافهم . يسيرون فى بطء بين جذوع الأشجار)

الحطاب الأول : أيها الموت المطل
زاحفا من بين أوراق كبار

الحطاب الثانى : لا تطلقن فيض الدماء !

الحطاب الأول : أيها الموت .. القادم وحيدا
أيها الموت الرابض بين الأوراق اليابسة

الحطاب الثالث : لا تنثر الأزهار على الزفاف

الحطاب الثانى : أيها الموت الحزين
أبقِ للحب غصنا أخضر

الحطاب الأول : أيها الموت الخبيث
دع لهواهما غصنا أخضر

(يمضون خارجين وهم يتحدثون . يدخل ليوناردو والعروس)

ليوناردو : اصمتى !

العروس : من هنا سأمضى وحدى
اذهب الآن ، أريد أن تعود

ليوناردو : قلت لك اسكتى !

العروس : بأسنانك أو بيديك ، بأى شىء تستطيع
انزع عن عنقى الطاهر
معدن ذلك القيد
ودعنى أعش فى نسيان
هناك فى بيت من الطين
واذا لم تكن تريد قتلى
كما تقتل حية صغيرة
فضع فى يدىّ ، يدَى العروس
قناة البندقية
آه ، أية حسرة وأية نار
تصعد وتحرق رأسى !
وأية شظايا أحسها انتشبت فى لسانى

ليوناردو : الآن وقد قطعنا الشوط ، اصمتى
لأنهم فى أعقابنا عن كثب

ومعى لابد أن آخذك

العروس : لن يكون هذا الا على الرغم منى

ليوناردو : على الرغم منك ؟ مَن منا نزل
سلم الدار أولا ؟

العروس : أنا نزلت أولا

ليوناردو : من كان الذى وضع
للحصان لجاماً جديداً ؟

العروس : أنا بنفسى ، هذا حق

ليوناردو : ويدُ من كانت التى
وضعت قدمىّ فى الركاب ؟

العروس : يداى هاتان ، وهما طوع أمرك
ولكنهما — اذ تريانك — تريدان
أن تقطعا العروق الزرقاء
وتوقفا خفق الدم فى شرايينك
اننى أحبك .. أحبك ، ولكن الآن دعنى
فلو أننى استطعت الآن قتلك
لفعلت ، ووضعتك فى كفن
وزينت أطرافه بشريط من بنفسج
آه ، أية حسرة ، وأية نار

تصعد وتحرق رأسى !

ليوناردو : أية شظايا أحس لذعها فى لسانى

لأننى أردت نسيانك

وأقمت جداراً من حجر

بين دارى ودارك

ذلك حق .. ألا تذكرين ؟

وعندما رأيتك من بعيد

ذررتُ فى عينىّ رملا

ولكننى كنت أمتطى حصانا

والحصان مضى بى الى بابك

وعندما رأيت اكليل الفضة على رأسك

استحال دمى أسود فاحما

ودارت الأحلام فى رأسى وأشاعت

الروح الخبيث فى جسدى

والذنب فى هذا لم يكن ذنبى

وانما هو ذنب التراب

وذنب ذلك العطر الذى

ينبعث من صدرك وشعرك

العروس : أىْ .. أىّ جنون هذا . أنا لا أريد

منك فراشا ، أو طعاماً معك
ومع هذا ، فما تمر لحظة من نهار
الا وأشتهى أن أكون بقربك
فانك تنزعنى فى عنف ، وأطيع
ثم تأمرنى أن أعود
وأنا أتبعك طائرة فى الهواء
كأننى عشب يميل مع الريح
لقد تخليت عن رجل صلب العود
وزهدت فى نسله جميعاً
ومضيت على وجهى يوم الزفاف
وعلى رأسى اكليل العروس
بك أنت سينزل العقاب
وهو أمر لا أريده
اتركنى وحدى ، وانج بنفسك
فليس هناك من يحميك

ليوناردو : هذى طيور الصباح
تتحرك فى غصون الشجر
هذا الليل يلفظ أنفاسه
على حافات الصخور

هيا بنا الى ركن مظلم
أنعم فيه بحبك آبدا
فانني لا أحفل بالناس
ولا بالسم الذى يطرحون
(يعانقها فى قوة)

العروس : وأنا ، عند قدميك سأنام
ساهرة على أحلامك
عارية ، أنظر الى البطاح
(فى حزن) كأننى كلبة يقظى
فتلك هى حقيقتى ، يكفى أن أنظر اليك
ليحرقنى جمالك

ليوناردو : هذه نار تحرق ناراً
ونفس الشعلة الصغيرة
تحرق سنبلتى قمح معا ..
هيا بنا ! (يجذبها)

العروس : الى أين تمضى بى ؟

ليوناردو : الى حيث لا يستطيع الوصول
أولئك الذين يحيطون بنا
هناك أستطيع أن أنظر اليك

العروس : (ساخرة) :

يمضى بى من سوق لسوق ؟

عار على امرأة طاهرة

أن يرانى الناس أجمعون

وأغطية سرير زفافى

تخفق فى الهواء كأنها أعلام

ليوناردو : أنا أيضا وددت لو تركتك

لو أننى أفكر كما يفكر الناس

ولكنى الى حيث تمضين أمضى

وأنت أيضا مثلى ، سيرى ، حاولى ..

لقد شدّ رباط من ضوء القمر

وسطى الى خصرك

(يدور هذا المنظر كله فى عنف ، تشيع فيه روح الاشتهاء)

العروس : أتسمع ؟

ليوناردو : ناس مقبلون

العروس : انج بنفسك

هنا ، من العدل أن ألقى المنية

وقدماى تخوضان الماء

والشوك يجلل رأسي
ولتبك أوراق الشجر
على امرأة ضلت وهي عذراء !

ليوناردو : اصمتي ، الآن الينا يصعدون

العروس : اذهب !

ليوناردو : صمتا ، كيلا يحسوا بنا .
امضي أمامي ، قلت .. هيا بنا .

العروس : (تتردد) نمضي معاً ؟

ليوناردو : (يعانقها) أيّ طريق تريدين .
اذا فرقوا بيننا
فلن يكون هذا الا بعد موتي

العروس : وبعد موتي أيضا .

(يخرجان متخاصرين)

(يظهر القمر في بطء شديد . يشيع في المسرح ضوء أزرق ساطع . يسمع صوت القيثارتين . فجأة تسمع صرختان عنيفتان ويتوقف عزف القيثارتين . عندما تنطلق الصرخة الثانية تظهر المتسولة وتقف وظهرها للجمهور . ترفع يديها وتفتح رداءها وتظل وسط المسرح كأنها طائر ذو جناحين هائلين . يقف القمر . الستار يهبط في صمت تام)

المنظر الأخير

(قاعة مطلية الجدران باللون الأبيض ، تتكون من أقواس (بواكى) وجدران سميكة . على اليمين واليسار سلالم بيضاء . صدر المنظر قوس كبير وجدار بنفس اللون . الأرضية أيضا ينبغى أن تكون بيضاء ناصعة . هذه الغرفة البسيطة ينبغى أن تحكى للنظارة فى جوها وعمارتها جو كنيسة . لا ينبغى أن يكون فيها شيء رمادي اللون ، ولا تكون فيها ظلال ، حتى الظلال التى تستدعيها طبيعة المناظر) .

(فتاتان فى ثياب زرقاء داكنة تفكان كرة من الصوف الأحمر)

الفتاة الأولى : كرةَ الصوف ، يا كرةَ الصوف
ماذا تريدين أن تصنعى ؟

الفتاة الثانية : ثوبا كأنه الياسمين .
صوف رقيق كأنه البلور
يولد فى الساعة الرابعة
ويموت فى الساعة العاشرة
خيط من هذا الصوف
يصبح قيداً على قدميك
ووثاقا يشد الى رأسك

تاج الغار المرير

طفلـــة : (تغنى) هل شهدتم الزفاف ؟

الفتاة الأولى : ما شهدته .

الطفلـة : ولا أنا كنت هناك !

ماذا يمكن أن يحدث

تحت أشجار الكروم ؟

ماذا يمكن أن يحدث

تحت أغصان الزيتون ؟

ماذا حدث

حتى أن أحداً لم يعد ؟

هل شهدتم الزفاف ؟

الفتاة الثانية : قلنا لم نشهده .

الطفلـة : (وهى ذاهبة) ولا أنا !

الفتاة الثانية : كرةَ الصوف ، يا كرةَ الصوف !

ماذا تريدين أن تغنى ؟

الفتاة الأولى : جروح أصبحت جافة كالشمع

وآلام تتضوع كالريحان

رقاد فى الصباح

وسهر فى الليل

الطفلـة : (واقفة على الباب) :

خيط الحياة يتعقد

على الصخور القاسية

والجبال الزرقاء

أذنت له فى المرور

فيجرى ، ثم يجرى ، ثم يجرى

حتى يصل فى النهاية

الى أن يغمد سكينا

ويخمد أنفاس الحياة (تذهب)

الفتاة الثانية : يا كرةَ الصوف ، يا كرةَ الصوف !

ماذا تريدين أن تقولى ؟

الفتاة الأولى : عاشقة أظلها الصمت

وعريس مضرج بالدماء

على الضفة الساجية

رأيتهما طريحين

(تتوقف وتتأمل كرة الصوف) .

الطفلـة : (واقفة عند الباب) :

يجرى ، ثم يجرى ، ثم يجرى

حتى هنا ، ذلك الخيط

ها هما بالطين مجللان

أحس بهما قادمين

جسدين متصلبين

وأكفان فى لون العاج (تذهب)

(تظهر زوجة ليوناردو وأم العريس وعليهما علائم الفزع)

الفتاة الأولى : هل هم الآن قادمون ؟

أم العريس : (فى مرارة) لا ندرى .

الفتاة الثانية : ماذا تحكين عن الزفاف ؟

الفتاة الأولى : حدثينى !

أم العريس : (فى جفاء) لا شىء ..

الزوجة : أريد أن أعود لأعرف كل شىء .

أم العريس : (فى انفعال) :

أنتِ ، الى دارِكِ عودى

باسلةً ووحيدةً تعودين الى دارك

لتبلغى المشيب وتبكى

ولكن خلف باب مغلق ..

وحيدة دون رجل ، لا حىٍّ ولا ميت

سنغلق النوافذ

ولتهطل الأمطار ، ولتهبط ظلمات الليالى

على الأعشاب المرة

الزوجـة : ماذا عساه قد حدث ؟

أم العريس : لا يهمنك ما حدث

اسدلى على وجهك نقابا

أولادك هم أولادك أنت وحدك

وعلى فراشك

ضعى صليبا من رماد

حيث كانت وسادته (تخرجان)

المتسولة : (على الباب) كسرة من خبز يا صبية .

الطفلـة : اذهبى ..

(تتجمع الفتيـات)

المتسولة : ولماذا أذهب ؟

الطفلة : لأنك تهرفين ، اذهبى ..

الفتاة الأولى : يا صبية !

المتسولة : كنت أستطيع أن أطلب عينيك ! ان سحابة من الطيور تتبعنى .. أتريدين واحدا ؟

الطفلة : أريد أن أذهب من هنا .

الفتاة الثانية : (للمتسولة) لا عليكِ منها .

الفتاة الأولى : من طريق النهر أتيتِ ؟

المتسولة : من هنا يأتى النهر .

الفتاة الأولى : (فى حياء) أستطيع أن أسألك شيئا ؟

المتسولة : لقد رأيتهما ، بعد قليل يكونان هنا .

سيلان عارمان

هدأا أخيراً بين أحجار هائلة

رجلان عند حافر حصان

غالهما الموت فى ليلة ساجية

(ثم فى سرور)

ميتان ، أجل ميتان !

الفتاة الأولى : اسكتى يا عجوز ، اسكتى .

المتسولة : عيونهما ، زهور ذابلة .. وأسنانهما

قبضتان من ثلج جَمَد

سقطا معاً ، وعادت العروس

ثوبها وشعرها مضرجان بالدم

يعودان فوق كل منهما دثار

محمولين على أكتاف فتيان طوال

هذا ما حدث ، ولا زيادة . وكان عدلا .

فوق زهرة الذهب ، رمل ملوث .

(تذهب المتسولة. الفتيات تحنين رؤوسهن، وتمضين خارجات فى خطوات وئيـــدة منتظمـة)

الفتاة الأولى : رمل ملوث

الفتاة الثانية : فوق زهرة الذهب

طفلـة : فوق زهرة الذهب

يأتون بالموتى من النهر

أسمر أولهما

أسمر ثانيهما

أىّ بلبل داكن ذاك الذى يحوّم ويعول

فوق زهرة الذهب ؟

(تذهب . يبدو المسرح خاليا ، ثم تظهر أم العريس وجارة لها . الجـارة تدخل باكيـة)

الأم : كفى عن البكاء .

الجارة : لا أستطيع .

الأم : قلت اسكتى (وهى على الباب) هل من أحد هنا ؟ (ترفع يديها الى جبهتها) ابنى . لابد أن يجيب . ولكن ابنى قد صار حِمل ذراع من زهر جاف . ابنى قد صار صوتا خافتا خلفه

الجبــال (للجارة فى غضب) أما تريدين أن تصمتى ؟ فى هــذا البيت لا أريد عـويلا . دموعكن من العين فحسب ، أما دموعى فتنهل عنــدما أكون وحــدى .. تنبــع من اخمص قدمىّ .. من صميمى .. تتدفق أحرَّ من الدماء .

الجارة : تعالى الى دارى ، لا تبقى هنا وحدك .

الأم : هنا أريد أن أكون ، هنا فى هدوء .. الآن قد غالـهم الموت جميعا . فى منتصف الليل سأنام ، سأنام دون أن تخيفنى بعــــد اليـــوم بندقية أو سكين . غيرى من الأمهات سيبقين عــلى النوافذ ساهرات وعلى رؤوسهن يهطل المطــر حتى تطمئن قلوبهن بطلعة أبنائهن .. أما أنا فلا.. ومن أحلامى سأصوغ يمامة باردة من العــاج لتحمل الى القبور زهور كاميليا مبللة بالندى .. لا ، انها ليست روضة أموات .. انها ليست قبورا .. بل فراشا من الثرى ، فراشـــا يضمهم ويهدهدهم الى السماء (تدخل امرأة متشحة بالسواد وتتجه الى اليمين ، وهناك تركع. ثم تقول الأم للجارة) أنزلى يديك عن وجهك ..

أمامنا أيام رهيبة . لا أريد أن أرى أحداً . أنا والأرض فحسب ، أنا وأحزانى وهذه الجدران الأربعة ! أى .. أى !.. (تجلس منهوكة القوى)

الجارة : كونى رحيمة بنفسك .

الام : (تزيح شعرها الى الوراء) لابد أن أملك زمام نفسى (تجلس) لأن الجارات سيأتين ولا أريد أن يريننى فى هذه التعاسة ، فى هذا البؤس ! امرأة ليس لها ولد واحد تضمه الى شفتيها .

(تظهر العروس ، لا تحمل على راسها اكليل الزهور ، متدثرة بمعطف اسود)

الجارة : (فى غضب عندما ترى العروس) أين تذهبين ؟

العروس : هنا .

الام : (للجارة) مَن هذه ؟

الجارة : ألا تعرفينها ؟

الام : لهذا أسألك من هى ؟ لأننى لا ينبغى أن أعرفها حتى لا أنشب أسنانى فى عنقها . أيتها الحية الرقطاء (تتجه نحو العروس فى غضب شديد ثم تتوقف ، وتقول للجارة) أترينها ؟ ها هى

هنا ، وهى تبكى .. وأنا هنا واقفة ساكنة دون أن أنزع عينيها من وجهها ! لا أفهم نفسى .. أتراني لم أكن أحب ابنى ؟ ولكنْ شرفه ؟ أين شرفه ؟ (تضرب العروس فتقع هذه على الأرض)

الجارة : يا الهى ! (تحاول أن تحول بينهما) .

العروس : دعيها .. أتيت الى هنا لتقتلنى وليحملونى معهما (للأم) ولكن لا تقتلينى بيديك بل بخطاطيف من حديد ، بل بفأس ، واضربى فى عنف حتى تتحطم الفأس على عظامى .. دعيها ، فاننى أريد أن تعرف أننى طاهرة .. اننى قد أكون مجنونة ، ولكنهم يستطيعون أن يوارونى التراب ولما تقع عين رجل على بياض صدرى ..

الأم : اصمتى ! اصمتى ! وماذا يهمنى أنا ذلك ؟

العروس : لأننى مضيت مع رجل آخر .. نعم مضيت ! (فى خوف) أنت أيضا كنت تفعلين لو كنت مكانى . كنتُ امرأة تحترق بالشوق ، مثقلة بالقروح من داخل ومن خارج . وكان ابنك

بالنسبة لى سؤراً من الماء رجوت منه الولد
وملك الأرض والعافية ، أما الآخر فكان نهرا
أسمر مليئا بالأعشاب حمل الىّ الصوت
المكتوم لتدافع الماء بين صخوره ونشيده
الهامس . ومضيت مع ابنك كما أمضى مع طفل
صغير أحس معه وكأنى فى ماء بارد ، بينما كان
الآخر يبعث علىّ مئات من الطيور أسرابا
تعترض طريقى وتترك نقطا من الندى فوق
جروحى ، جروح امرأة مسكينة ذابلة ، جروح
امرأة يداعبها اللهب . لم أكن أريد متابعته ،
اسمعى هذا جيدا ، لم أكن أريد . كان ابنك
غاية مناى ، ولم أخدعه ، ولكن ذراع الآخر
انتزعتنى كأنها موجة طاغية جرتنى جراً عنيفا ..
وكانت هذه الذراع ستظل تجرنى فى عنف
دائما ، دائما ، دائما حتى لو أنتى صرت عجوزاً
يمسك بشعرى أحفادك جميعا ..
(تدخل جارة)

الأم : هى لا لوم عليها ، ولا علىّ (فى سخرية) على
من اذن ؟ انها امرأة هزيلة قلقة المضجع تلك التى

ترمى باكليل العروس وتجرى تلتمس ركنا من
فراش أدفأته امرأة أخرى ..

العروس : اسكتى ، اسكتى ! خذى ثأرك منى ، وها أنا
أمامك ! انظرى فعنقى رقيق . وقطعه أهون
عليك من قطع زهرةِ دالية فى حديقتك .. ولكنى
أنكر ما تقولين . اننى طاهرة ، طاهرة كطفلة
ولدت لتوها ، ولدىّ من القوة ما أثبت لك به
طهارتى : أشعلى النار وتعالَىْ نضع يدينا فيها :
أنت لاثبات حق ابنك ، وأنا لاثبات طهارة
جسدى .. ستسحبين يدك قبلى ..

(تدخل جارة أخرى)

الأم : ولكن ، ماذا تعنينى أنا طهارتك ؟ فيم يعنينى
موتك ؟ فيم يعنينى أى شىء فى هذا الوجود ؟
ليبارك الله سنابل القمح لأن أولادى يرقدون
تحتها ! ليبارك الله المطر لأنه يندى وجوه
الموتى ! وتبارك الله الذى يجمعنا معاً فى لحد
واحد فى راحة الأبد !

(تدخل جارة أخرى) .

العروس : دعينى أبك معك !

الأم : ابكي .. ولكن لدى الباب .

(تدخل الطفلة . العروس تقف عند الباب والأم في وسط الحجرة . تدخل زوجة ليوناردو وتتجه الى اليسار)

زوجة ليوناردو : كان فارسا جميلا

واليوم هو كومة من الثلج

كان يمضي الى الأسواق ويقطع الجبال

ويجري الى أحضان النساء

والآن يكلل جبهته بالليل

نبات أسود حالك

الأم : كنتَ لأمكَ زهرةَ الشمس

ومرآة ترى الدنيا بها .

ليضعوا الآن على صدرك

صليباً من الزهر المر

وليمدوا عليك غطاء

من حرير ذي بريق

وليتجمع الماء حسرات

بين يديك الساجيتين

الزوجة : أي ! هؤلاء فتيان أربعة

يقبلون بكواهل متعبة

العروس : أى ! أىٍّ فتيان أربعة بواسل
يحملون الموت فى الهواء !

الأم : جارات !

طفلــــة : (على الباب) الآن يأتون بهم

الأم : هو نفس الشىء دائما
الصليب .. الصليب

النســـــاء : مسامير رفيقة
وصليب رقيق
واسم جميل
اسم يسوع !

العروس : ليحرس الصليب الأمواتَ والأحياء .

الأم : أيتها الجارات ، كان ذلك بسكين
بل بسكين صغيرة
فى اليوم المقدور ، بين الثانية والثالثة
قتل كل من الرجلين الآخر ، فى سبيل الحب .
كان ذلك بسكين
بل بسكين صغيرة
لا تكاد تملأ راحة اليد
ولكنها تنفذ دقيقة

خلال اللحم المبهور
وهناك تقف عند مكان
يرتعد فيه حبيساً
أصل صرخة مدوية ..

العروس : أجل ، هذه سكين
بل سكين صغيرة
لا تكاد تستقر فى الكف .
سمكة دون قشر ، ولا نهر
حتى اذا كان اليوم الموعود ، بين الثانية والثالثة
بشفرة هذه السكين
أصبح رجلان جثتين هامدتين
على شفتيهما صفرة الموت

الأم : ومع هذا ، فلا تكاد تملأ اليد
ولكنها تنفذ باردة
فى اللحم المبهور
وهناك تقف عند مكان
يرتعد فيه حبيساً
أصل صرخة مدوية ..

(الجارات تبكين وهن راكعات على الارض)

ستـــــــار

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٤٦ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغربان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ا . ر . لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسيل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شين أوكاسى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	اهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	چورج برنارد شو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك أبسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧	سيجفريد	چان چيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار	يوچين اونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوچين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت .

روائع

المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

يطلب من :

مكتبة الخانجى - القاهرة ، ومكتبة المثنى - بغداد
ودار العلم للملايين - بيروت ، ومكتبة المنار - تون
ومكتبة الرشاد - الدار البيضاء
ويطلب من : المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي بالق

مطبعة مصـ
مارس ١٩٦٤

الثمن ٥ قروش